

ادجار والاس²

اللايونز العجيب

مستدى سور الأزبكية

www.books4all.net



روائع القصص العالمي

مترجم

روايات الهلال

www.books4all.net

المليونير العجيب

بقلم الروائي العالمي
إدجار والاس

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

المؤلف الرواية

كان ادجار والاس ثالث ثلاثة من المؤلفين الانجليز ، عقد لهم لواء الزعامة في كتابة القصص البوليسية خلال القرن الماضى ، والآخرا هما : سير ارثار كونان دويل مبتكر شخصية « شرلوك هولمز » و « وليم ليكيه » الذى كشف بقصصه عن كثير مما غمض من نشاط جواسيس الالمان فى انجلترا ، وشرح وسائل حياتهم وأساليبهم فى التغافل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم

وقد امتاز ادجار والاس مؤلف هذه الرواية ببراعته التى لاتجارى فيما يتكره من الفاز طريفة تحفل بها رواياته ، حتى انه لا يختم فصلا من احيائها الا على حادث جديد ، يضيف به لفزا الى انغازها ، ويحبس انفاس القارىء ويجعله متلهفا على معرفة النتيجة ، ويندر أن تتضح هذه النتيجة الا فى الاسطر القليلة الاخيرة من القصة ، كما يندر أن يخمن القارىء النتيجة التى تنتهى اليها الاحداث

ومن عجيب أمر هذا المؤلف القصصى العبقري انه بدأ حياته بائع صحف ، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع ، الى ترك بيع الصحف ، ليعمل طاهيا على احدى البواخر ، حيث أتبع له أن يزور بلادا كثيرة مختلفة ، وأن يدرس عن كتب حياة اهلها

على انه ما لبث قليلا حتى مل حياة التجوال فى البحار ، فعاد الى الإقامة بوطنه الاول حيث عمل بائعا للبن ، يحمله الى عملائه مرة كل صباح . ولبث كذلك حتى قلمت حرب البوير فتطوع للعمل جنديا فى الجيش الانجليزى ، وهناك فى جنوب أفريقيا بدأت مواهبه تظهر ، وتوجهه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الاكبر فى الحياة وتأديته رسالته الخالدة ، فاشتغل الى جانب عمله فى الجيش مراسلا لبعض الصحف الانجليزية . وكان أول ما خطه قلمه رسائل تضمنت أخبارا عن حرب البوير ، وعن أبناء تلك البلاد الذين كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للإنجليز

ولفت نشاطه انظار اصحاب صحيفة « الدبلى ميل » فاخثاروه مراسلا خاصا لصحيفتهم في ذلك الميدان الحربى . ومن هناك عاد الى لندن رئيسا لتحرير تلك الصحيفة الكبرى

وكان قد بدأ وهو في جنوب افريقيا كتابة اول قصة له وهى « شريعة الاربعة العدول » The four just men التى صدرت فى سلسلة روايات الهلال باسم « الحكم الرهيب » فلما اتمها بلغ من اعجابه بها انه قرر نشرها لحسابه ، ورسم لها خطة دعاية كبيرة لم تلبث ان استنفدت كل المال الذى ادخره من اعماله السابقة . وعندئذ عرض امر القصة على اصحاب « الدبلى ميل » ومدير تحريرها المستر « الفرد هارمزورث » - الذى اصبح فيما بعد « لورد نورثكليف » عميد الصحافة البريطانية - فاعجب بالقصة وقدم لكتابتها الف جنيه ، يستعين بها على اتمام نشرها . ونفذ هذا المبلغ ايضا واضطر « والاس » آخر الامر الى بيعها لاحدى دور النشر بما يساوى ما انفق عليها مضافا اليه ٧٥ جنيهها

وابتسم له الحظ منذ ذلك التاريخ ، فانتقل من الفقر المدقع الى الثراء الطائل ، حتى لقد بلغ دخله السنوى من رواياته زهاء خمسين الف جنيه ، ولكنه كان كريما مسرفا فى كرمه حتى كان يبلغ به الامر الى الاقتراض بين رواية ورواية

وكان اذجار والاس غزير الانتاج الى حد تعذر معه احصاء عدد ما كتبه من القصص ، وكانت سرعته فى كتابة القصة موضع التندر لدى اصدقائه ، ومن ذلك ما ذكره احدهم من انه طلبه يوما بالتليفون فاعتذر له شكرتيره الخاص بأنه بدأ من هنيئة كتابة قصة جديدة ، فرد الصديق على السكرتير قائلا : « حسنا سانتظر هنيئة اخرى ريثما يتم قصته !! »

وقد اخرجت له احدى دور النشر ما يربو على أربعين قصة وفى سنة ١٩٣٢ سافر الى هوليود للاتفاق على اخراج احدى رواياته على الشاشة السضاء ، ولكن المنية عاجلته قبل اتمام الاتفاق

شخصيات الرواية

ستراتفورد هارلو	«Stratford Harlo»	: مليونير مولع بالمضاربات المالية العالية
المستر ألنبري	«Mr. Ellenbry»	: محام ، ووكيل شركة رانا العالمية
ايلين ريفرز	«Ailene Reverse»	: فتاة تعمل في مكتب ستينجز للتوكيلات القضائية
المستر ستينجز	«Mr. Steppeng's»	: مدير مكتب ستينجز للتوكيلات القضائية
آرثر انجل	«Arther Ingle»	: ممثل قديم ، وقريب للمس ايلين ريفرز
جيمس كارلتون	«James Carlton»	: مفتش بوليس شاب بإدارة اسكتلانديارد
المفتش إلك	«Inspector Ellk»	: زميل للمفتش كارلتون
المسر جيبنز	«Mrs. Gibbins»	: خادم عجوز في مسكن المستر آرثر انجل
المستر مارلنج	«Mr. Marling»	: المدرس الخاص للمليونير في صباه
المسر ادوينز	«Mrs. Edwins»	: مديرة قصر المليونير هارلو
المس ميري	«Miss Mercy»	: عمة المليونير هارلو
المس أليس	«Miss Alice»	: عمة المليونير هارلو
السير جوزيف ليتون	«Sir Joseph Layton»	: وزير خارجية إنجلترا في العهد الذي وقعت فيه أحداث القصة

الفصل الأول

المال .. والجمال

كان المستر ستراتفورد هارلو من أولئك الذين يمضون الحياة في هدوء وتمهل ، لهم من أوقات الفراغ ، ومن المال المقدس ، ما يجعلهم يعيشون بعيدين عن زحمة لقمة العيش ، أو الجرى هنا وهناك في سبيل الرزق

ولعل أبرز ما يميز المستر هارلو أنه قوى الملاحظة لما يجري حوله ، ولكنه مع قوة ملاحظته هذه ، كان قد تعود أن يرقب الأشياء - أيا كانت - بلا تأثير عاطفي ، لأنه يرى أن العواطف من العوامل الأساسية التي تضعف الشخصية ، وتوق الإنسان عن تحقيق أهدافه وآماله

وكان المستر ستراتفورد رجلاً ضخماً الجسم ، في نحو الثامنة والأربعين ، شعره الأشقر خفيف لدرجة تقرب من مرحلة الصلع ، ووجهه الحليق خال من الخطوط والتجاعيد ، وعيناه الزرقاوان الفاتحتان لا تعتبران من سمات جماله ، لأن من يراها لأول مرة يحسبهما بيضاوتين تماماً ! أما أنفه ، فكان يبدأ من الجبين إلى أعلى الفم في عرض واحد . ويقول جواز سفره أنه ممتلئ الفم ، أحمر الشفتين ، مستدير الذقن بغمازة في الوسط ، صغير الأذنين إلى حد يلفت النظر

كانت سيارته الفاخرة ذات المحرك القوى واقفة على جانب الطريق ، وعجلتاها الجانبيتان على الحافة الخضراء من الطريق . وكان هو جالسا واحدى يديه على عجلة القيادة ، يرقب مسير طابور من السجناء الذين كانوا يعبرون أحد الحقول في طريق العودة إلى سجن دارتمور . وقد اعتاد ستراتفورد هارلو في مثل هذه

- اللحظات أن تنبثق تأملاته عن افكار رائعة ، ومشروعات ضخمة لا يدري أين كانت كامنّة من قبل . والاعجب من هذا أن يكون للسجون بوجه عام مثل هذا الاثر الملهم في تفكير هذا المليونير

وكان السجناء عندئذ قد بلغوا منتصف الحقل ، يسير وراءهم سجان يحمل بندقيته . وكان عددهم ثمانية ، يسرون في صفين بخطوات عسكرية منتظمة ، وقد ارتدوا السراويل والسترات المخططة ، كما اكتسبت بشراتهم بهذا اللون القاتم الذي يتركه التعرض الدائم للعوامل الجوية

ووصل السجناء الى حافة الطريق المرصوف ، وبدأوا يسرون في اتجاهه . . فلما اقتربوا منه ، راح السجان يرمقه في شك وتوجس ، بينما لم يبد على السجناء أية امارات للشعور بالخجل أو الحزن أمام رجل يشاهد عارهم ومذلتهم ، بل لقد كانوا يسرون مرفوعي الرؤوس . . وكأنما هم يدركون قيمتهم كأشخاص يتيحون للناس منظرا مشيا للفضول . ونظر سجناء الصف الاول نحو المستر هارلو وابتسموا له في سمت ينم عن المودة والمرح ، وكذلك فعل رجال الصف الثاني فيما عدا رجل واحد - وهو الثاني على اليمين - فقد كان يسير مقطب الجبين ، ساخط السمات ، مكشر الانياب ، رافعا احدي كتفيه الى أعلى وكأنما هو يتحدى ، باحتقار ، العالم كله ممثلا في شخصية المستر هارلو

وظل المستر هارلو يرقب السجناء حتى اجتازوا «قوس اليأس» ثم اختفوا وراء الباب المعدني الضخم لسجن دارتمور

وأخيرا انطلق بسيارته ، وقام بدورة واسعة ، ثم اتجه الى مدينة برنستون وهو يقول لنفسه : « ان في مقدور تافستوك والنبري الانتظار يوما آخر ، أو اسبوعا اذا لزم الامر » ، ذلك لان فكرة ضخمة كانت تتشكل وتكون في ذهنه عندئذ

وتوقفت سيارته - بدون أن تحدث أدنى صوت - أمام مدخل فندق « دوتشي » فهرول البواب متسائلا في دهشة :

- هل حدث شيء يا سيدي ؟

- لا . . لقد خطر لي أنه بقي هنا يوما آخر . هل أستطيع أن أنزل في نفس الجناح الذي كنت فيه . . ؟ اذا لم يكن ، فان أية

غرفة خالية تفي بالغرض

ولم يكن الجناح قد شغل بغيره ، كما علم ، ومن ثم أمر بحمل حقيبة سفره الضخمة اليه . وفي تلك اللحظة ذاتها ، خطر له ان النبرى قد يأتى اليه مخترقا منطقة الغابات ويعفيه من قضاء يوم ثقيل ممل في مدينة تافستوك

وبدا محادثاته التليفونية ، فلم تكد تمضى خمس دقائق حتى سمع النبرى فى الطرف الاخر من الخط التليفونى ، وهنا قال له هارلو :

— تعال الى برنستون ، انى مقيم فى فندق « دوتشى » ولا تدع أحدا يلاحظ أنك تعرفنى ، لسوف نتظاهر بأننا التقينا مصادفة فى غرفة التدخين بعد الغداء ، ثم تعارفنا كما يتعارف نزلاء الفندق بعضهم ببعض

وما كاد المستر هارلو يفرغ من طعام غدائه البسيط ، ويحطس برهة يتأمل الميدان الواقع أمام الفندق ، حتى رأى النبرى مقبلا . وسرعان ما ظهر فى قاعة الطعام الكبيرة بجسمه الصغير النحيل ، ووجهه العصبى السمات ، وعينيه النفاذتين اللتين كان يطوف بهما عندئذ فى جوانب القاعة ، حتى اذا لمح المستر هارلو ، جفل قليلا ، ثم جلس الى اقرب مائدة اليه

ولم يكن فى قاعة الطعام نزلاء كثيرون ... جماعتان من هواة الرحلات بالسيارات من توركوى ، وقد جلس أفرادهما فى ركن بعيد يتبادلون الحديث ، ثم رجل كهل كان جالسا الى مائدة اخرى مع زوجة ضخمة الجسم ، والى مائدة ثالثة جلست فتاة بمفردها يحيط بها جو من الرغبة فى العزلة . ولم يكن يتعدى اهتمام المستر هارلو بالنساء سوى انهن عناصر او عوامل تدخل فى تجاربه مع الجنس البشرى . ولكن لما كان من عادته أن يصنف كل شئ وبجيد ملاحظته ، فقد رأى — بطريقته الباردة الخالية من أية عاطفة — أنها فتاة جميلة الى حد مثير غير عادى !

فرغم أنها كانت جالسة فى وضع جانبى بالنسبة اليه ، ورغم أنه لم يكن يستطيع النظر الى عينيها ، الا أنه كان يرى أنها تتمتع بلامع كاملة الجمال ، وبشرة ناعمة تمتزج فيها شفافية الضوء بحمرة

الشفق ، ولم يستطع أن يرى لون شعرها ، لانه كان مختفيا تحت قبعته الواسعة ، أما قوامها فكان .. كان ماذا ؟ ان المستر هارلو كان يحاول أن يستعرض في ذهنه كل ما يعرفه من الصفات الجميلة الخاصة بالقوام ، فلما عجز أخيرا ، لم يسعه الا أن يهز كتفيه ويقول :
- انها جميلة جدا .. وكفى

ثم عاد يقول لنفسه وكأنما عز عليه أن يعترف لامرأة ما بالجمال :
- ومع ذلك فمن يدري ، فلعل لها صوتا لا يطيق أحد أن يسمعه !
ورغم هذا فقد قرر أن يغامر بالتعرف عليها حتى لو ثبت أن لها مثل هذا الصوت ! ذلك أن اهتمامه بأمرها لم يكن لذاتها ، وإنما لسبب آخر

وأقبل الخادم اليه أخيرا ليرفع الاطباق عن مائدته ، فقال له المستر هارلو وهو يوميء برأسه الى الفتاة :
- أتعرف من هي ؟

فاجاب الخادم بصوت هلمس :
- لنها المس ريفرز ، جاءت هذا الصباح ، وسوف تعود الى بليموث في آخر قطار . لقد جاءت لزيارة شخص ما
قال المباراة الاخيرة بلهجة لها دلالتها جعلت المستر هارلو يرفع حاجبيه اليه متسائلا بنفس اللهجة :
- في الداخل أم في الخارج ؟

وكان يقصد بطبيعة الحال « في داخل السجن أم في خارجه » .
وأجاب الخادم قائلا :

- في الداخل ! خالها .. آرثر انجل ، الممثل الشاب
وأوما المستر هارلو برأسه ، وقد تذكر انه سمع بهذا الاسم .
ولكن متى واين !. وبعد أن كد قريحته واعتصر ذاكرته لحظات ، تذكر أخيرا « حادث الممثل انجل » الذي كان يعيش متظاهرا بأنه صاحب فرقة تمثيل ، وفنان يجيد اداء الادوار الدقيقة في مسرحيات شكسبير ، ثم اذا بالحقيقة تنكشف عن مغامر محتال في دنيا المال والاعمال ، واذا به يقع أخيرا في قبضة رجال الشرطة ، واذا به يودع السجن بعد صدور الحكم عليه

وفجأة ضحك المستر هارلو لنفسه ، وهو يتذكر السجن الذي

رآه فى الصبح يسير وسط زملائه نحو باب السجن ، ولكنه كان يختلف عنهم جميعا ، فهو مقطب الجبين ، ساخط السمات ، مكثر الانياب ، كأنما يتحدى العالم بأجمعه

وأعجب من هذا أنه عاد الى پرستون خاصة ليعرف من هو هذا السجن الذى يحاول بنظراته وهيبته أن يتحدى العالم ! ولما رفع رأسه ، رأى الفتاة وهى تترك المائدة ، وتنصرف من القاعة ، فنهض بدوره وسار وراءها متمهلا حتى وصل الى قاعة الجلوس ، فوجدها خالية . وبعد أن اختار ركنا منعزلا ، جلس الى احدى الموائد ، واشعل سيجارة ، ولم يلبث المستر النبى أن أقبل وجلس بجانبه . ولكن المستر هارلو كان فى تلك اللحظة مشغولا بخواطر أخرى ، فقد رأى من أنفاذة المس ريفرز تعبر الميدان وتصل الى مكتب البريد . وهنا نهض وغادر الفندق وتبعها حيث رآها تشتري بعض طوابع البريد ، ولشد ما كان سروره عندما وجد أن صوتها يمتاز بجميع الميزات التى هو يتمناها

وبادرها قائلا ، ببساطة الرجل الذى يرى نفسه فى سن والد الفتاة التى يتحدث إليها :

— طاب صباحك يا سيدتى الشابة .. انك احدى ضيفاتنا فى الفندق ، اليس كذلك ؟

ورمقته بنظرة سريعة ، ثم رفت على شفيتها ابتسامة خفيفة وقالت :

— تناولت طعام الغداء فى الفندق ، ولكنى لست مقيمة به . ان هذه المدينة مزعجة !

فقال لها المستر هارلو محتجا :

— ولكن لها جوانب جمالها

ولما فرغت الفتاة من مهمتها فى مكتب البريد ، غادرته .. وغادره معها المستر هارلو ، وقال وهو يسير بجانبها كأنما يتم حديثه :

— ولها أيضا مغامراتها العاطفية . انظرى .. هذا هو سجن « فيروزان » الذى بناه الإسرى الفرنسيون فى عهد نابليون

ولقد كانت مداخن هذا السجن الصغير البعيد على مرأى البصر منهما ، ثم استطرد المستر هارلو قائلا :

ـ ولكن السجن الآخر ، سجن دارتمور ، رهيب . لقد حاولت كثيرا أن أستجمع شجاعتي وأدخله للزيارة فلم أستطع
ـ أحقا ما تقول ؟! هل لديك فيه ...

ولم تتم عبارتها .. فقال هو :

ـ صديق ! نعم ، كان صديقا عزيزا جدا منذ أعوام كثيرة مضت .
ولكن المسكين لم يستطع أن يستمر في الحياة باستقامة ، ولقد حاولت زيارته مرارا ، ولكنى لم أستطع

ولم يكن للمستتر هارلو أى صديق داخل السجن بطبيعة الحال ونظرت المس ريفرز اليه مليا ، ثم قالت بصوت لا يسم على أى شعور بالخرج :

ـ انه ليس مفزعا حقا من الداخل ، كما تظن .. لقد زرته من قبل .. ان لى خلا فيه

فقال بصوت يسم عن الفهم والتقدير :

ـ أحقا ؟

ـ هذه هى زيارتى الثانية للسجن خلال أربع سنوات .. وأنا طبعا اكبره القيام بهذه الزيارة . وسوف أسعد حين تنتهى مدة العقوبة ، فان هذا الامر مثير للاعصاب بوجه عام

وقال المستتر هارلو ، وهما يقتربان من الفندق :

ـ من الطبيعى أن يكون الامر ثقيلًا على أعصابك . ولا شك أنك تشعرين بالاسف من أجله ، وبين أجل زملائه البؤساء ...

ورفت ابتسامة غامضة على شفيتها ، وهى تجيب قائلة :

ـ لا .. ان هذا لا يؤسفنى أو يحزننى كثيرا . وأعتقد انه لا ينبغي أن أقول هذا . ولكن الحقيقة هى انه ليس بينى و ...

وتوقفت برهة فى تردد ، ثم استطردت تقول :

ـ وبين خالى هذا عاطفة من المودة ، ولكن لما كنت قريبته الوحيدة ،

فقد وجب على أن أرعى شئونه خارج السجن .. و

ومرة أخرى ترددت برهة قبل أن تقول :

ـ وأرعى أيضا ما قد يكون له من أموال . ولكنه انسان من

العسير ارضاؤه

وشعر المستتر هارلو فى نفسه باهتمام بالغ ، ذلك انه وجد الامور

تتطور بسرعة وبصورة لم يكن يتوقعها .. وعادت الفتاة تقول :
- لو أن العلاقة بينى وبينه قوية ، لكان الامر - الان - مزعجا
مثيرا للاسى

وأردفت قائلة وهى تصعد الدرجات الاولى فى مدخل الفندق :
- اما الآن ، فان حديثنا لا يعدو الشئون العملية او المالية

ثم اومأت اليه باسمة ، ودخلت الفندق بخطوات سريعة . وبعد
أن وقف هو برهة يفكر فيما سمع ، سار متمهلا الى قاعة الجلوس
حيث كان المستر النبرى لا يزال جالسا فى انتظاره . وما هى غير
لحظات حتى دار الحديث بينهما . وكانت القاعة خالية تماما الا
منهما .. اذ كان هواة الرحلات بالسيارات قد انصرفوا ، وكذلك
كان الرجل الكهل وزوجته البدينة قد غادرا الفندق اثناء دخول
المستر هارلو

وسال المستر هارلو صاحبه قائلا :

- هل كل شئ على ما ينبغى يا النبرى ؟

فقال الرجل الصغير النحيل بصوت ملهوف :

- نعم يا مستر هارلو .. كل شئ على احسن حال . لقد
سويت موضوع القضية التى كان سيرفعها المكتتبون الفرنسيون
ضد شركة راتا ، و ..

وتوقف عن الحديث فجأة ، وراح يتتبع اتجاه نظرات المستر
هارلو الذى كان ينظر من النافذة الى ثمانية سجناء كانوا فى تلك
اللحظة يسرون نحو محطة السكك الحديدية ، وكانوا - بخلاف
سجناء الصباح - مقيدى الايدى والاقدام بالقيود والسلاسل
الحديدية اللامعة ، وقد اشار المستر هارلو برأسه اليهم ، وقال
بصوت الرجل الذى جعله المال الكثير لا يهتم بمأسى غيره من الناس :
- انه منظر يثير النفور والاشمئزاز .. ولكنه على كل حال منظر
اعتاد عليه سكان برنستون ، واعتقد أن هؤلاء السجناء سيرحلون
الى سجن آخر . ألم تحاول أبدا أن تعرف كيف يكون شعورك لو
... لو أنك كنت أحد هؤلاء السجناء ، مقيد اليدين والقدمين
كوحش ضار ؟

وهتف الرجل الصغير الجسم ، النحيل :

- أرجو ، بحق السماء ، أن تكف عن مثل هذه الاحاديث
وبيدين مرتعدين أخفى عينيه ، واستطرد قائلا بصوت لا يكاد
يكون مسموعا :

- كنت أشعر بالفزع لمجرد تفكيرى فى الحضور الى هنا . ولما
مرت السيارة الحافلة امام بوابة السجن ، كدت أسقط مفشيا على
ورفت ابتسامة غامضة على شفتى المستر هارلو ، وهو يقول
واحدى عينيه على مدخل القاعة :

- ليس هناك ما تخشاه ياعزيزى النبرى .. لقد سويت ،
بطريقة ما ، أمر جريمته
وصمت برهة قبل أن يردف قائلا ، وهو يضغط على الكلمات
الاولى :

- أقول بطريقة ما ، لاني لا أعرف كيف ينظر القاضي الى صحة
هذه الطريقة من الوجهة القانونية . فانت ، بصفتك محاميا ، أعرف
منى بهذا . ولكن المؤكد اننى سددت ديونك ، ودفعت المال الذى
اختلسته من عملائك ، وجعلت لك دخلا شهريا اعتقد انه لا بأس
به اطلاقا !

وأوما الرجل الضئيل يراسه وهو يفص بريقه . وكان وجهه
شديد الامتناع ، وقد بلغ من ارتعاد يده انه لم يستطع أن يرفع
كاسه الى شفثيه ، ولكنه استطاع أن يستجمع نفسه ويقول :

- اننى معترف بفضلك ، شاكر لك .. وانى لاسف جدا ،
ويبدو ان أعصابى اليوم ليست كما ينبغى
- طبعاً .. طبعاً ! لا عليك ، اطمئن

وتناول المستر هارلو مفكرة جيب صغيرة ، وراح يكتب فيها
نحو خمس دقائق ، كان النبرى خلالها يرمقه . ولما فرغ من الكتابة
انزع الورقة من المفكرة ، وسلمها الى الرجل الضئيل ، وهو يقول :
- أريد أن أعرف كل شيء عن المدعو آرثر انجل .. متى تنتهى
مدة عقوبته ، وأين يقيم فى لندن أو فى أى مكان آخر ، وما هى
موارده المالية ، وأهم من هذا كله ، ما هو سر حقه على الحياة !
اننى لا أعرف السر الذى جعله يخرج عن حدود القانون ، ولكننى
اعتقد انه سر ضخم . وكذلك أريد أن أعرف أين تشتغل ابنة

اخته . لسوف تجد اسمها مكتوبا في هذه الورقة وأمامه علامة
استفهام . وأريد أن أعرف من هم أصدقائها ، وماهى هوايتها ،
وأهم شىء مركزها المالى
فقال النبرى وهو يطوى الورقة ، ويضعها بعناية فى حافظة
نقوده :

- فهمت ..

وعلى حين غرة ، قال :

- نسيت أن أقول شيئا لك يامستر هارلو .. لقد قام رجال
الشرطة بزيارتي فى مكتبى بمنطقة لنكون ان فيلد يوم الاثنين الماضى
- لانى شىء ؟!

- لا ادرى على وجه التحديد .. وقد بدا الامر لى غامضا ..
وانت تعرف كيف يراوغ المستر كارلتون فى اجاباته

فهتف المستر هارلو بسرعة قائلا :

- كارلتون ! اتعنى ذلك المفتش الجنائى الذى يراس الادارة
الخارجية باسكتلانديارد ؟

- نعم

- حسنا !

- لقد جاء يسألنى عن طريق مستودعات المطاط .. اتذكر
الحرائق التى شبت فى مستودعات المطاط التابعة للشركة العالمية
المتحدة ، لقد أراد أن يعرف هل شركتنا « رانا » قد أمنت على
نصيبنا من المطاط الذى كان مودعا فى المخازن المحترقة ، وقلت له
طبعاً ، اننا لم نؤمن عليه

فقال المستر هارلو بصوت هادى :

- لا تقل شركتنا ، ولكن قل شركة رانا . وما انت الا محام تعمل
لمصالح شركة ، ليس لك فيها منفعة خاصة .. حسنا .. وماذا
بعد ؟!

- لاشىء .. لقد بدا شديد الغموض امامى و ...

وقاطعه المستر هارلو بابتسامة خافتة ، وهو يقول :

- انه دائما هكذا شديد الغموض . ولا تنس أيضا انه جسر
جدا الى حد التهور . ان المفتش جيمس كارلتون هو اجرا وأعنف

رجل في ادارة اسكتلانديارد كلها . وهذا قد يؤدي يوما اما الى دماره ، او الى ارتفاع شأنه . اننى شديد الإعجاب به ، ولست أعرف في العالم كله رجلا يضارعه في الذكاء والجرأة والعنف . حسن جدا .. لسوف أكون في برك لين يوم الجمعة مساء في تمام الساعة الحادية عشرة ، ويمكننى أن أبقى في انتظارك عشر دقائق ولوى النبرى أصابعه فى تعاسة ، وقال متلعثما :

— اليس في هذا خطر .. عليك ؟! لعلنى أكون غيبا ، ولكننى لا أدري لماذا تفعل ؟ .. حسنا ! أعنى ، لماذا تعرض نفسك للخطر برغم كل ما لديك من أموال طائلة ؟

فتراخى المستر هارلو في مقعده الوثير ، وقال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة !

— لو أن لديك ملايين الجنيهات ، فماذا كنت تفعل ؟ هل تعتزل الحياة العملية ! حسنا ؟ .. هل تبني العمارات والقصور ؟ ثم ماذا؟ فقال الرجل بغموض :

— اننى لا أدري ؟ ان في مقدور الانسان عندئذ أن يقوم برحلات حول العالم

— ان للانجليز رأيين في السعادة : منهم من يراها في العمل المتواصل ، ومنهم من يراها في اعتزال العمل .. أى ان منهم من يظل مندفعاً في الحياة حتى يموت ، ومنهم من يرى أن يبقى حتى يعلوه الصدا ! اننى قد أتزوج ، ولكننى لا أرغب في الزواج .. واننى قد أشتري جياذ السباق وأشيد مرابط الخيل لها ، ولكننى أحتقر هذا النوع من الهواية . وربما أهوى الرحلات البحرية ، ولكننى لا أحب البحر أبدا .. فلنفرض اننى أريد الانفعال وكل ما يثير الانسان ؟ وفن الحياة هو فن الانتصار .. سجل هذه الحكمة عندك . أين السعادة في المغامرة أو في سباق الخيل أو الحب أو في الرياضة ! انها في انتصارك على من هو أحسن منك . هذه نظرية أمريكية ! أين البهجة في هواية تسلق الجبال ؟ أو في اكتشافات العلمية ؟ انها في احساسك بأنك تفعل ما هو أحسن مما يفعله غيرك ، في احساسك بأنك تتقدم ، وتضع قدمك على رأس الرجل الذى يتقدمك !

وصمت برهة راح خلالها ينفت دخان سيجاره ، ويتأمل
السحب الزرقاء ، وهى تتلاشى مع الهواء ، ثم أردف قائلا :

— عندما تكون مليونيرا فأنت اما ان تعيش داخل نفسك وتصبح
حيوانا ، أو تعيش خارجها وتصبح متعبا لفرك من الناس . وإذا
كنت نابليون ، فسوف تهوى لعبة القوة ، وإذا كنت ليوناردو دافنشى
فستشغف بلعبة تحصيل العلم والحكمة والفن .. ان النتيجة
لا أهمية لها ، ولكن الأهمية كلها فى نفس اللعبة ، ان السعى الى
الهدف له انفعالاته الحلوة الخاصة سواء كنت لاعب جولف تضرب
الكرة مسافة أبعد من خصمك ، أم قائد جيش تملأ الميدان بجثث
أعدائك . وانا كملينير الى هدفى الخاص الذى يزودنى بانفعالاتى
الحلوة التى تجعل للحياة قيمتها فى نظرى .. ان الجنيهاات
والدولارات هى جنودى ، وان القدر قد هيا لى أن أضع بنفسى
قواعد الحرب التى سأخوضها ، وأن أمهد بنفسى طريقى نحو
النصر .. فلا تلق على المزيد من الاسئلة

وأشار بيده نحو باب الخروج ..

فنهض المستر النبرى ، وسار نحو الباب ..

وبعد لحظات ، سمع المستر هارلو أزيز السيارة التى استأجرها
صاحبه ليحضر بها اليه ، وهى فى طريقها للخروج من المدينة
ولما وصلت السيارة أمام بوابة السجن ، أشاح المستر النبرى
بوجهه وهو يرتعد رغما عنه



الفصل الثاني

نداء الحب

بعد ثمانية أشهر ، وقعت حادثة تصادم على كورنيش نهر التيمز ، وقد كان كل من الفتاة ذات المعطف الاصفر ، المسرعة في مسيرها ، والشاب الطويل العريض الكتفين الجالس الى مقعد القيادة في سيارته ، ملهوفين لسببين مختلفين الى عبور اخطر منطقة على الطريق النهري في اقصر وقت ممكن . وكان الوقت يقترب من الغروب ، وفي الجو ضباب خفيف ولكنه خادع ، والمطر يتقاطر رذاذا ، ويجعل الطريق اشد خطرا على السيارة المسرعة

ووجدت ايلين ريفرز ، الفتاة ذات المعطف الاصفر ، نفسها تطير بعيدا عن السيارة التي صدمتها صدمة جانبية ، ثم تنقلب على الارض الموحلة بالمطر حتى تستقر عند قدمي شرطى المرور المتجهم الوجه الذى بادر بمساعدتها على الوقوف ، ثم عبر الطريق الى السيارة التي توقفت بجانب عمود مصباح النور الذى اصطدمت به في النهاية ، عندما حاول سائقها أن يتفادى الفتاة في آخر لحظة وقال الشرطى بصوت حازم ، وهو يخرج من جيبه دفتر المخالفات :

— ما معنى هذا ؟!

ومسح الشاب الطويل العريض الكتفين جانب وجهه الملوث بطين الشارع بظاهر يده ، فكانت النتيجة أنه زاده تلوثا ، ثم قال :

— هل اصيبت الفتاة بضرر ؟

— دعك أنت من الفتاة ؟ ودعنى انا ارى ترخيص قيادتك

وتجاهل الشاب امر الشرطى ، ومضى نحو الفتاة التي وست في حرج مخجل بين لفيف من المارة الذين تجمعوا حولها بدافع

من الفضول . وكانت احدى السيدات تقول لها ناصحة بصوت خشن :

— حركى اصابع قدميك حتى تطمئنى الى أنه لم يحدث كسر فى عمودك الفقري

ولكن هذه التجربة لم تتم ، لان الشاب الطويل « الذى لم يكن فى الواقع شابا حديث السن وأنما رجل فى نحو الثلاثين » اقتحم الحلقة المضروبة حول الفتاة وسألها ملهوها :

— هل أصبت بسوء ؟ اننى آسف جدا .. اننى لم أركه الا عندما كانت السيارة توشك ان تدهمك تماما

ومن خلال الاصوات التى اخذت تلوم الشاب على تهوره ارتفع صوت الفتاة تقول عندما رأت الشاب يكتب لها اسمه وعنوان مسكنه على مطروف خطاب قديم :

— لا داعى لهذا .. اننى بخير تماما

فقال الشاب :

— ولكننى مصر يا آنستى على أن أعوضك عما لحق بك من إضرار وفى تلك اللحظة وصل شرطى المرور ، ينفخ غاضبا نائرا يقول للشاب :

— عندما اتحدث اليك ايها الشاب ، يجب ان تقف وتنصت الى وتطلعنى على ترخيص قيادتك . أين هو الترخيص ؟

فقال الشاب ببساطة :

— أرايت السيارة الليموزين الزرقاء ؟ لقد كانت أمامى مباشرة عندما اصطدمت بعمود مصباح النور

فقال الشرطى فى ضجر ، وحدة :

— دعك من الليموزين وأطلعنى على ترخيص قيادتك

ودس الشاب شيئا فى راحة يد الشرطى ، فلما نظر اليه وجده بطاقة تختلف عن بطاقة الترخيص بالقيادة ، فغمغم بصوت يجمع بين الدهشة والغضب :

— ما هذا ؟ !

ولكنه لم يكذب يقرأ الكلمات الاولى المكتوبة على البطاقة حتى استدرك قائلا باحترام :

- اننى آسف ياسيدى !
لقد وجد الشرطى نفسه امام المفتش جيمس كارلتون رئيس
القسم الخارجى بادارة اسكتلانديارد

وقال الشاب بهدوء ، ولكن بلهجة لا تخلو من الامر :
- حسنا ، لسوف ارسل من يزيل هذه السيارة المعطلة فى
اسرع وقت . ولكن المهم هو ، هل رايت السيارة الليموزين الزرقاء
التي كانت امامى ؟

- نعم ياسيدى ؟ كانت امامك مباشرة ، وقد اصاب مقدم
سيارتك خزان بنزينها ودفع به الى الداخل قليلا
فضحك المستر كارلتون قليلا ، ثم قال :-

- ارايت هذا ايضا ؟ حسنا .. سوف اذكرك فيما بعد .
والآن ، عليك ان تستدعى سيارة اجرة لتحمل هذه الانسة الى
غايتها . ولكن ، لا .. سوف اصحبها بنفسى

وسمعت ايلين ريفرز العبارة الاخيرة ، فقالت فى تحد :
- اننى افضل ان امضى بمفردى
وكان عندئذ قد ابتعد بها عن الفضوليين اللتين حولها ،
وقال لها :

- اننى فى الحقيقة احد رجال المباحث الجنائية
ونظرت الفتاة اليه فى دهشة .. فقد كانت هيئته ابعد ما تكون
عن رجال المباحث الجنائية الذين طالما قرات عنهم .. بل كان فى
نظرها اقرب ما يكون الى عامل ميكانيكى فقير لعدم اهتمامه
بملابسه . ويبدو انه ادرك ما يجول بذهنها ، فابتسم وقال :

- اننى مفتش بالمباحث الجنائية رغم كل ما يجول بذهنك ،
وان المستقبل امامى باسم فى هذا المجال
- لماذا تقول لى هذا كله ؟

وكان فى تلك اللحظة قد اشار الى احدى سيارات الاجرة ،
فتوقفت .. واقترب بها سائقها منهما ، وهنا قال مجيبا على
سؤالها :

- حتى لا تعترضى على ، لاننى ساصحبك فى السيارة الى باب
مسكنك

وركبت السيارة - وهي بين الضحك والبكاء - لأنها أحست في تلك اللحظة بالآلم يزداد في مرفق ذراعها الذي تعرض للصدمة ، وأخيرا عندما أخبرته بأن اسمها : ريفرز .. ايلين ريفرز ، أخذ يكرره ببطء ، وكأنما يلوكه بين شذقيه قائلا لها :

- ايلين ريفرز ! لقد كان اسمك على طرف لسانى ، وفي مؤخرة ذهنى .. ولكننى لم أستطع أن أتذكره

فقالت فى شىء من الغضب :

- لعلك لو اطلعت على صحيفة سوابقى فى اسكتلانديارد لعرفت فقال بهدوء :

- لقد خطر لى هذا ، ولكن .. ايلين ريفرز !

وهز رأسه فى حيرة مصطنعة .. ذلك لانه كان قد عرفها فعلا ، عرف انها ابنة اخت آرثر أنجل ممثل أدوار شكسبير ، والذي حكم عليه بالسجن خمسة أعوام لارتكابه سلسلة من جرائم الاحتيال والتزيف والنصب

وكان المفتش كارلتون قد سمع ايلين ، وهى تطلب من سائق السيارة المأجورة أن يمضى بها الى عمارة « فوثرنجواى مانسيونز » ومن ثم قال ببطء :

- فوثرنجواى مانسيونز ، يالها من مساكن رائعة لا يسكنها غير الاغنياء والوجهاء !

فاستدارت اليه فى غضب مفاجئ ، وقالت له :

- لقد قبلت أن تصحبنى الى باب المسكن- يامستر ..

- كارلتون ..

- كنت أريد القول اننى لا أحب أن اسمعك تتحدث . لقد

حاولت جهديك أن تقتلنى هذا المساء . ويمكنك ، على الأقل ، أن تقتلنى أموت فى سلام

وحملق من وراء زجاج نافذة السيارة المأجورة محاولا أن يرى معالم الطريق من خلال الضباب المتكاثف ، ثم قال فجأة :

- اننى آسف جدا .. لن ألقى عليك أسئلة أخرى ، ولن أعلق

على احاديثك بما يفضيك

فقالت فى لهجة دفاع عن النفس :

- اننى لست مقيمة فى عمارة « فوثرنجواى مانسيونز » . اننى اذهب الى المسكن الذى بها احيانا لاشرف على ترتيبه وتنظيمه .. انه مسكن ، مسكن قريب لى غائب فى ... فى رحلة بالخارج فقمغم قائلا :

- فى الخارج .. فى مونت كارلو مثلا .. آه ، ما اجمل هذه المناطق ، انها كصور رسمتها ريشة الخيال المبدع .. وفجأة غير موضوع الحديث ، فقال :

- من حسن حظك ان السيارة الليموزين الزرقاء لم تقض على حياتك ، لقد كانت اسرع منى ، ولولا انى صدمت خزان بنزينها فى المؤخرة ل .. حسنا ، العجيب ان صاحبها لم يحاول ان يقف ليعرف ماذا اصاب سيارته

فلوت شفتيها فى الظلام ، وقالت :

- لعله مجرم هارب من العدالة .. يالها من مغامرة !

وضحك المفتش الشاب قائلا :

- اخطأت الحدس .. انه مليونير فى طريقه الى حفلة فاخرة بالمدينة . وان الاتهام الوحيد الذى يمكن ان اوجهه اليه ، هو انه يزين صدره بأزرار كبيرة من الماس ، وهذا يخالف كل قوانين العرف والذوق السليم

ووصلت السيارة المأجورة الى مدخل عمارة « فوثرنجواى مانسيونز » ففتح كارلتون الباب وهبط منها قائلا :

- لقد وصلنا

وقالت ايلين ، وهى تهبط بدورها :

- أشكرك كثيرا على مصاحبتك لى الى البيت

ثم أردفت قائلة فى لهجة مأكرة :

سأؤكد لك انى استمتعت بحديثك كثيرا

- اوه ، ماذا لو انك سمعت عمى تحدث ؟ انها لا تقول الا

شعرا ..

وظل يرقبها حتى اختفت فى مدخل العمارة ، ثم قال لسائق السيارة المأجورة :

- الى اسكتلانديارد ، بسرعة

ولما وصل الى هذه الادارة البوليسية ، وثب من السيارة ، ودفع للسائق اجر الركوب ، ثم صعد الى مكتبه بالطابق الاعلى فى خفة ونشاط .. وهنا راح ، للمرة الاولى فى حياته ، ينظر الى مظهره العام فى المراة الموضوعة فوق الحوض الصغير ، ثم يدرك ، للمرة الاولى ايضا ، أن مظهره بوجه عام لا يليق أبدا بشباب مثله يرأس قسما من أخطر اقسام المباحث الجنائية

وقرر فى ذات نفسه أن يعنى بمظهره وبأناقته !

وفيما هو واقف امام الحوض يخلق ذهنه ، بعد أن ازال الاضرار من وجهه ، أقبل زميله المفتش الك وقال له باكتئاب :

— ها .. اذهب انت الى حفلة ؟

— لا ، وانما من عادتي فقط أن أحلق ذنبي !

وراح الك يبحث فى جيوبه كأنما يريد شيئا ، فقال له كارلتون باسما :

— ستجد ماتريد فى جيب سترتى الايمن . خذ واحدا فقط لانى أعرف عددها

وتناول الك سيجارا فاخرا من الكيس الجلدى الانيق ، ثم جلس يدخنه على حافة مقعد ، وهو يقول :

— ان افخر سيجار دخنته فى حياتي كان فى مكتب النائب العام المستر جوردون ، وهذا لا يعنى أنه احسن من سيجارك .. لكنه لا يقل جودة عنه

— آه .. المستر جوردون الذى قضى على عصاة ال فروج — نعم ، انه هو .. وبهذه المناسبة لماذا لم تقبض على ستراتفور هارلو يا كارلتون ؟

— ما هى التهمة التى يمكن أن أعتمد عليها فى القبض عليه ؟
— ان لديه عشرة ملايين جنيه على الاقل .. ولا يمكن لاي انسان بأية حال أن يجمع عشرة ملايين جنيه بوسائل شريفة ؟
فهز كارلتون كتفيه ، وقال :

— لقد ورث ثلاثة ملايين عن أبيه ، ومليونين عن عمته ، ومليون عن عمه اخرى .. ان آل هارلو كانوا دائما موفورى الثراء ، وقد كان له اخ فى امريكا مات وترك له ثمانية ملايين دولار

فتنه الك وحك انفه ، ثم قال :

— وهو أيضا من اصحاب شركة راتا :

— طبعا انه من كبار المساهمين فيها سرا ، والمحامي النبرى هو الذى يتولى شؤنه فيها ، اعنى آنه بمشابة ستار له .. وحتى لو ظهر للجميع انه صاحب شركة راتا ، فماذا فى هذا ؟ ليس فى شركة راتا ما يؤخذ عليها قانونا

وكان كارلتون محقا فى قوله هذا .. ذلك ان شركة راتا كانت مسجلة ومعترفا بها فى الاسواق المالية ، كاية شركة مساهمة اخرى . وكانت لها ايضا فروعها المعروفة فى وستشير هاوس ، وفى اولد برود ستريت ، وفى قلب مدينة لندن ، وفى شارع وال ستريت بنيويورك . وهى تنشر فى كل عام حساباتها عن الخسائر والارباح ، وتستخدم عشرة من الكتبه ، ارتفع ثلاثة منهم الى مراكز ادارية تحت رئاسة ضابط متقاعد برتبة كولونيل . ورأس مال الشركة يعتبر صغيرا جدا نسبيا .. ولكن المساهمين فيها جميعا كانوا من رجال المال الاثرياء ، وعندما قامت هذه الشركة بعملية « المضاربة » فى سوق المطاط عام ١٩٢٤ حيث اشترت كل ما كان معروضا من اسهم شركات المطاط فى الاسواق العالمية ، بلغت الاموال التى تعاملت بها يومذاك نحو خمسة ملايين جنيه ، وقد ثبت بالدليل القاطن ان كل جنيه صدر منها او ورد اليها سجل فى حساباتها ، فيما عدا طبعا مبلغ الخمسين الف جنيه التى دفعت للمدعو لى هيرنز واثنين من اصحابه ، وسجلت فى الدفاتر تحت بند « مصروفات للدعاية والنثریات »



وكان المدعو لى هيرنز قد وصل من نيويورك الى لندن فى عصر يوم الجمعة . وفى صباح يوم الاحد التالى اشتعلت النيران فى مستودعات الشركة العالمية المتحدة لتجارة المطاط . واحترق فى هذا الحادث نحو ثمانية عشر الف طن من المطاط . وكان حادثا مدبرا احكم تدبيره .. فلا عجب ان ارتفعت اسعار المطاط فى اليوم الاول بعد الحادث بنسبة ٨٠ ٪ ، ثم قفزت الى ٢٠٠ ٪ فى خلال اسبوع واحد .. ذلك لان الاحتياطى الضخم الذى كان من عوامل

استقرار الاسعار وموازنتها قد ضاع في طرفة عين ، وكانت شركة راتا هي الشركة الوحيدة التي استفادت من هذه الكارثة بسبب احتكارها لاسهم المطاط قبل وقوع الحادث بفترة معينة

وقد ارسلت سلطات الشرطة المسؤولة في نيويورك التقرير التالي الى ادارة اسكتلانديارد بلندن عن المدعو لي هيرنز وصاحبيه :

« لي هيرنز ، وجوكلين ، وفيليب سيريت . . مجرمون مشهورون بالبراعة في تدبير الحرائق الضخمة . والمعتقد انهم الان في لندن ، انظروا التقرير الكامل عنهم المرسل اليكم بالبريد المسجل بتاريخ ٧ أكتوبر عام ١٩٢٣ . ومن المحتمل جدا ان تكون لهم علاقة بحريق الشركة العالمية المتحدة لتجارة المطاط »

وفي الوقت الذي استطاعت فيه ادارة اسكتلانديارد ان تعرف اين يقيم لي ، كان هو قد طار الى باريس متقمصا شخصية رجل امريكي ثري ينفق وقته في مشاهدة معالم باريس

وقال المفتش الك وهو ينفث دخان سيجاره الفاخر :

— ان الامر من الوجهة النظرية واضح كل الوضوح ، فها هي ذي شركة راتا تشتري جميع اسهم المطاط المعروضة في السوق دون ان يكون هناك اى احتمال في ارتفاع اسعارها ، ثم اذا نصف الاحتياطي المخزون في انجلترا يضيع في طرفة عين ، فترفع الاسعار بشكل جنوني . فهل كانت شركة راتا تعرف ان الاسعار سترتفع بهذا الشكل عندما اشترت الاسهم قبل الحريق بشهور ؟!

فقال جيمس كارلتون :

— كنت اظن ان الحريق مجرد حادث وقع قضاء وقدرا

وكان في الحقيقة لا يظن شيئا من هذا القبيل ، وانما كان يعرف انه حادث مدبر بدون شك ، وقد هتف المفتش الك مستنكرا :

— حادث وقع قضاء وقدرا ؟ . . لقد اشتعلت النيران في المخازن من ثلاثة اماكن ، وعثر رجال المطافي على اثار التبرول الذي استخدم في اضرار النار ، وقد اثبتت التحريات ان رجلا تنطبق عليه اوصاف جوكلين كان يشرب الخمر مع احد حراس المخازن في اليوم السابق على الحادث . وقد اقسم ذلك الحارس على انه لم ير ذلك الرجل مرة اخرى ، ولكن المحتمل ان يكون كاذبا . . فان الطبقات الدنيا

تكذب بنفس البساطة التى تتناول بها الطعام . فاذا كان هارلو وراء ذلك الحادث ، فلاشك أنه ربح من ارتفاع الاسعار الجنونى اكثر من عشرة ملايين جنيهه ، لانه لم يترك سهما معروضا فى الاسواق العالمية دون أن يشتره قبل الحريق
وهنا صلصل جرس التليفون بقوة ، فتناول كارلتون السماعه .. فسمع صوت ايلين ريفرز تقول :

– هل استطيع التحدث مع المستر كارلتون ؟

– نعم يا مس ريفرز

– اوه ، اهذا انت ؟ حمدا لله ! هل يمكن أن تأتى الى المسكن

رقم ٦٣ بعمارة فوثرنجواى مانسيونز ؟

فقال بسرعة :

– هل حدث شئ ؟

– لا ادرى .. ولكن احدى غرفات النوم مغلقة من الداخل وانا

واثقة بالله لا يوجد أحد بها !



الفصل الثالث

لحظة فرع

كانت الفتاة واقفة في مدخل المسكن عندما خرج كارلتون والك من المصعد الى الدهليز الممتد أمامها .. وبدأ عليها شيء من الاضطراب حين رأت الك مع كارلتون ، ولكن مخاوفها لم تلبث أن تلاشت حين عرفت انه المفتش الك زميل كارلتون ..

ولكنها ، مع اطمئنانها الموقوت ، كان الاضطراب واضحا عليها وهي تفسر سبب التجائها الى المفتش كارلتون بقولها : ..

— لقد جئت لأحصل على ما يكون قد ورد من رسائل لخالي .. انه .. في الخارج . وان اسمه جاكسون ، وفي مساء كل ثلاثاء تأتي امرأتان لتنظيف المسكن ، لأن الوقت لا يتسع لى ، بسبب اشتغالي في أحد المكاتب

وكان الك قد تخلف في الردهة الخارجية ليتأمل لوحة محفورة رائعة ، ومن ثم انتهر كارلتون الفرصة لمصارحة ايلين ريفرز بما يعرفه عن خالها ، حتى لا تلجأ الى الكذب او المراغبة دائما في هذا الشأن ، فقال في صوت كله رقة واشفاق :

— مس ريفرز .. أن خالك هو الممثل السابق آرثر انجل . وأنا بطبيعة الحال مقدر شعورك وموقفك في هذا الشأن ، ولكني أصرحك بهذا حتى أعفيك من .. من ..

فقال ايلين بوجه مضطرب :

— حتى تعفيني من الكذب دائما .. اليس كذلك ؟ حسنا .. نعم ، ان الممثل انجل كان يعيش هنا ، ولكنه كان يعيش باسم جاكسون . هل كنت تعرف هذه الحقيقة .. ؟

فلما أوما برأسه ، أردفت هي قائلة ، وهي تشير بيدها نحو احدى

غرفات النوم :

— هذا هو الباب .. انه باب غرفة النوم القديمة غير المستعملة
وكان المسكن مكونا من قاعة طعام كبيرة ذات سقف خفيض ،
وجدران من ألواح الخشب الفاخر .. وفي هذه القاعة ثلاثة أبواب ،
أحدها يؤدي إلى المطبخ ، والاثنان الآخران يؤديان إلى غرفة نوم
أوثر انجل الحديثة ، وإلى غرفة النوم الأخرى القديمة ، وهي
الغرفة التي أشارت إلى بابها

وأدار كارلتون مقبض الباب ، ولكنه تبين أن الغرفة مغلقة حقا
من الداخل ، ولما نظر من ثقب المفتاح ، رأى لمحات من نافذة مفتوحة
يتسلل إليها سحب من الضباب الأصفر

وسأل أيلين قائلا :

— هل من المعتاد أن تبقى هذه الأبواب مفتوحة ؟

— نعم .. دائما ، لأن عاملتي النظافة تأتيان أحيانا قبل أن أجيء
أنا .. ولكنهما الليلة تأخرتا عن موعهما ، وجئت أنا مبكرة

— وإلى أين يؤدي هذا الباب ؟

— إلى المطبخ ..

وتقلعته ، وفتحت الباب ، ودخلت مطبخا صغيرا ولكنه أنيق
نظيف له نافذة واحدة مواجهة لنافذة غرفة النوم القديمة المغلقة ،
 ويفصل بين النافذتين مسقط نور بعيد الفوار . ونظر كارلتون من
النافذة إلى أعماق مسقط النور التي بدت بلا نهاية ، ثم تسلق
النافذة ، وهبط على أفريزها الخارجي وتأهب لكي يقفز إلى
النافذة المواجهة ، ولكن أيلين أمسكت بذراعه ، وقالت في جزع :

— لا .. لا ، أنك ستقتل نفسك

فضحك وربت على وجهها ، ثم قال :

— لا تخافي ، أن المسافة قصيرة ، وليس في هذا أية مخاطرة

ثم وثب وتعلق بالنافذة المواجهة ، ودخل عن طريقها إلى غرفة
النوم المغلقة ، وهناك لم ير شيئا غير الخطوط الخارجية الفامضة
لثلاث حقائب سفر كبيرة بعضها فوق بعض ، ولكنه لم يلبث أن
عثر على مفتاح النور فأداره ، ورأى على ضوءه أن الغرفة في حالة
اضطراب شديد يدل على تعرضها للسرقة .. فقد كانت الصناديق

القديمة وحقائب السفر مكومة في وسطها ، وأدراج خزاناتها مفتوحة ، وباب الخزانة الحديدية المثبتة بالجدار مفتوحاً أيضاً وعلى الأرضية قطعة معدنية مستديرة منتزعة من باب الخزانة ، ولا تزال ساخنة بسبب استخدام المصباح الهيدروجيني المستعمل للتفجير الذي لجأ إليه السارق لتحطيم باب الخزانة وفتح كارلتون باب الغرفة ، وسمح للمفتش الك وللفتاة بالدخول

وقال الك وهو يطوف بنظراته على جوانب الغرفة ، ثم يشير الى الخزانة :

— هذا عمل متقن تماماً .. خاوية ، ليس فيها حتى سيجارة .
ان هذا من عمل توبى هاجيت أو ليو ياكوبى ، فهما الوحيدان فى لندن اللذان يمكنهما أن يقوموا بعمل كهذا بمثل هذه البراعة والاتقان



وكانت الفتاة تحملق بنظرات مشدوهة الى « العمل المتقن » وقد شحب وجهها ، فنظر إليها كارلتون وقد أخطأ الظن في تفكيرها ،
اذ قال :

— ماذا كان بالخزانة ؟

فهزت رأسها قائلة :

— اننى لا أدرى .. بل لم اكن أدري أن ثمة خزانة فى هذه الغرفة .. لسوف يثور اعنف ثورة حين يعلم بما حدث

وعرف كارلتون من الذى تقصده بحديثها ، ومن ثم قال :

— انه لن يعرف على كل حال الا بعد مضى وقت

فقاطعته قائلة بسرعة :

— سوف يعرف فى الاسبوع التالى .. لسوف يطلق سراحه

يوم الاربعاء

وحك المفتش الك رأسه ، وقال :

— ان شخصا ما كان يعرف هذه الحقيقة ، رغم ان المعروف ان

آرثر انجل كان يقوم بأعماله بمفرده ، بلا أعوان

وكان آرثر انجل حقا يعمل بمفرده ، ولم يكن أحد يعرف حقيقة

امره ، حتى اصدقائه . وقد ظل اثنى عشرة سنة يقوم بأعمال

النصب والاحتيال قبل ان ينكشف امره ويتم القبض عليه . وكان

أعضاء فرقته التمثيلية لا يعرفون عنه الا انه رجل شحيح مع مرعوسيه ، لا يدفع للعاملين معه الا اقل الاجور الممكنة . ومن ثم لم يخطر ببال أحد أن هذا الممثل الذى برع فى أدوار مسرحيات شكسبير هو نفسه الذى كان يقوم بدور صاحب ومدير شركة « لوبروسين لصناعة الجواهر » ، وغير ذلك من الادوار التى كانت تدور عليه الاموال الطائلة بوسائل غير قانونية

وقال المفتش كارلتون - وهو يربت على كتف ايلين ريفرز - حين رآها شديدة الاضطراب :

- ليس لك يد فيما حدث .. ولهذا فلا داعى للجزع او القلق وكان المفتش الك يفحص مصباح التفجير الهيدروجينى الذى تركه السارق وراءه ، ثم قال وهو يمضى الى النافذة ويطل منها :
- اراهن انه توبى .. فهو خفيف كالقطة .. ولا شك انه دخل من هذه النافذة ، وخرج عن طريقها

وكان لكارلتون فى هذا الشأن رأى آخر .. ولكنه لم يستطع ، رغم استعراضه لجميع الاحتمالات ، أن يصل الى قرار معين . فمثلا لم يكن يعتقد انه كان بالخزانة مبالغ كبيرة من المال ، لان مجرما من نوع آرثر انجل ليس بالذى يحتفظ بثرواته فى خزانات حديدية بمسكنه .. وانما هو ، على الأرجح ، من النوع الذى يودع امواله فى عدد من المصارف تحت اسماء مستعارة

وعاد الجميع الى قاعة الطعام .. وكان المسكن فى ذاته قد اثار اهتمام جيمس كارلتون ، لانه كان الدليل الحاسم على الثروة الطائلة التى ظفر بها آرثر انجل من عملياته الاجرامية .. ذلك أن كل ما يحتويه المسكن كان ينم على آلاف الجنيهات التى انفقت فى تأثيثه وتزيينه وتزويده بكل الوان الترف والرفاهية . وعلى الجملة ايقن كارلتون أن آرثر انجل كان قد ظفر من عملياته بمبالغ أكثر كثيرا جدا من التى قبض عليه من أجلها وصدر الحكم عليه بالسجن بسببها

وسأل كارلتون ايلين قائلا :

- هل كانت علاقتك بخالك وبليدة قبل الحكم عليه ؟

فهزت رأسها وقالت :

— لا .. كانت علاقتنا قوية قبل أن يصبح واسع الثراء ، اى عندما كان ممثلا مغمورا .. وانا الآن القرية الوحيدة الباقية على قيد الحياة من جميع اقاربه

ثم ادارت رأسها نحو الباب الخارجى حين سمعت طرقا خفيفا عليه ، وأردفت قائلة :

— يبدو ان عاملتى النظافة قد جاءتا اخيرا

ولما فتحت الباب ، رأت امامها رجلا طويلا ، مهيب المنظر ، رائعا فى ملابسه الانيقة الفاخرة ، وازراراه الماسية التى تزين صدريته ، التى انتفت منها كل ظاهرة سوقية قد تخطر بالبال . واحست الفتاة انها ، فجأة ، قد وقفت امام انسان له من القوة والتأثير على الغير ما ليس للملايين الناس العاديين . بل لقد احست بنفسها تتضاءل امام قوته وجبروته ، وكأنما هى تقف امام نمر !

وقال الرجل وهو يكشف بابتسامته عن اسنان انيقة بيضاء :

— ان اسمى هارلو .. واذكر اننا التقينا ذات يوم فى دارغور . هل تسمحين لى بالدخول ؟

وانعقد لسانها من فرط الدهشة ، فلم تستطع ان تقول شيئا ، وعندئذ سمعت من يقول بدلا منها :

— ادخل يا هارلو .. اننى اريد حقا ان أعرف رايك عن سجن دارغور .. أهو سجن رهيب جدا كما يقولون ؟



وازدادت دهشة ايلين ريفرز ، وهى ترى كيف ابتسم المستر هارلو فى بساطة ، بل ومودة ، لكلمات المفتش كارلتون . وكانت قد عرفت فى برنستون أنه « هارلو الكبير »

وقد عرفت أيضا انه لا يمكن لانسان يعمل فى مدينة لندن ان يتجاهل من هو هارلو هذا .. فان مضارباته ، وضرباته المالية ، وقصص نجاحه ، تكاد تكون احاديث الجميع فى طول المدينة وعرضها .. بل ان رجال المال الكبار يتحدثون عنه فى خوف وهمس ويكاد كل منهم يخشى أن يثير غضب هارلو عليه ، فيجده نفسه مفلسا فى خلال ايام معدودة

وكانت قد سمعت بطبيعة الحال بالبناية النموذجية التي اقترحها هارلو على السلطات الرسمية لتكون مقرا لكل مركز شرطة في المدينة . فلما اعملت السلطات المسئولة اقتراحه ، شيد بأمواله بناية نموذجية لمركز من مراكز الشرطة في بارك لين كلفها مائة ألف جنيه واهداها للحكومة . وقد ظلت هذه الهدية مدار احاديث الرأي العام أشهرًا عديدة . وكانت البناية في الواقع رائعة التصميم ذات مساكن خاصة لرجال الشرطة ، تقوم فوق طابق المكاتب والادارة ، وقد زودت بكل ما ينبغي أن ينعم به رجل الامن الساهر على حماية المجتمع

وأوماً المستر هارلو باسمًا لكارلتون ، وللمفتش الك المكتئب الوجه دائماً ، ثم قال لايلين ريفرز :

— لم اكن اعلم انك تعرفين صديقي المستر كارلتون
ثم غير لهجة صوته فجأة ، وقال :

— ارجو الا اكون دخيلاً عليكم في هذا الوقت غير المناسب .
وقال جيمس كارلتون :

— لقد حدثت جريمة سرقة هنا ، واستدعنا المس ريفرز
للتحقيق فيها

فغمغم هارلو بكلمات تنم عن الاسف والاشفاق ، ثم قال لايلين :
— اهنتك لآنك ظفرت بمساعدة ابرع رجل في شرطة المدينة
ثم التفت الى كارلتون ، وأردف قائلاً :

— واهنىء ادارة الأمن العام لانها نقلتك من القسم الخارجى
الذى كادت مواهبك فيه أن تضيع ، و

— معذرة ! اننى مازلت اعمل بالقسم الخارجى .. اما عملى
هنا الآن فهو بمثابة تزجية لوقت فراغ . والان ، ما رايك في
دارغور ؟

فابتسم هارلو في وقار وقال :

— مثيرة ومؤثرة ، وانا اعنى طبعاً مدينة برنستون التى امضيت
فيها يومين

وكانت ايلين تنتظر أن تسمع من المستر هارلو سبب زيارته
هذه المفاجئة ، وكانت رغم قلقها الشديد بسبب حادث السرقة ،

تشعر بأشد اللهفة لمعرفة السر الذي جعل مليونيرا ذائع الصيت
كهذا يأتى الى مسكن رجل سجين !

ونظر هارلو الى كارلتون الذى فهم الغرض من نظراته ، فمضى
معه ومع المفتش الك والمس ايلين ريفرز الى الغرفة التى تعرضت
للسرقة ، وهناك قال هارلو للفتاة :

— خطر لى اتى قد أستطيع تقديم بعض العون لك ، ولعل اسمى
ليس مجهولا لديك تماما .. فانا ادعى ستراتفورد هارلو
— انا اعرف ..

— هل ذكروا اسمى لك فى فندق دوتشى ؟
وكان صوته ينم عن الارتياح عندما علم انها تعرفه ، ومن ثم
استطرد يقول :

— ان مهمتى دقيقة بعض الشيء .. ولكن خطر لى — اعنى
وجدت نفسى افكر فى امرك كثيرا منذ التقيت بك — وانه قد يمكن ،
اعنى ربما استطعت ان اجد لك عملا مناسباً . وارجو ان تغفرى
لى اذا قلت ان مركزك دقيق بعض الشيء ، فان صلة القرابة ،
بالجرمين ، او بأشخاص لهم صحائف سوابق اجرامية ، قد تؤثر
عادة على مستقبلهم
فابتسمت الفتاة وقالت :

— وبمعنى آخر يا مستر هارلو تريد ان تقول اننى فى مركز
اجتماعى لا احسد عليه ، وانك تريد ان تسهل على أمور الحياة !
فاشرق وجهه بالرضا وقال :
— تماما !

— اننى شاكرة لك هذا العطف ، ولكننى اشغل منصباً طبياً
جدا فى مكتب للمحاماة .. وان مدير المكتب المستر ستينجز
يعاملنى كابنته
فقال هارلو بسرعة :

— المستر ستينجز !! أتعين مكتب محاماة « ستينجز وفيلد وفارو
شركاء » ؟ عجباً ! لقد كانوا المحامين المتولين شئونى القانونية منذ
اعوام قليلة
فلما أومات براسها ، استطرد قائلاً :

— انهم محامون بارعون ، وان كانوا من الطراز القديم بعض الشيء . لا شك ان المستر ستينجزر المعجوز قد حدثك عنى !
— مرة واحدة فقط .. انه شديد التحفظ ولا يميل الى الحديث عن عمله

فاوما هارلو يراسه وقال :

— نعم ، انه رجل ممتاز .. ويبدو انى اخطأت فى سحب شئونى القانونية من مكتبهم . وارجو ان تذكرى هذا للمستر ستينجزر .. حسنا ، لقد ظننت انك تعملين فى شركة «نيولايرارى» !
فابتسمت قائلة :

— ان مكاتب هذه الشركة تقع بجوار مكتب الحمامة الذى اعمل فيه ، مباشرة
— آه ، اذن عرفت سر الخطأ ..

ثم اردف قائلا بسرعة :

— وراك صديق لى وانت تدخلين مكتب الحمامة ، فظن انك دخلت مكتب الشركة ، و ...

ولم يقل لها من هو هذا الصديق الذى لا شك يعرفها ، ولم تسأله هى عنه لانها لم تعر هذا الامر اهمية خاصة

وفى تلك اللحظة ، سمع الجميع طرقا على الباب ، فقالت ايلين :
— لا شك ان عاملتى النظافة قد وصلنا الان

ولما اسرعت لتفتح الباب ، قال هارلو :

— فتاة جذابة جدا ..

وقال كارلتون مبايجاز :

— نعم !

— اننى عادة لا اهتم كثيرا بالنساء ، انهن عاطفيات اكثر مما ينبغى ، والرجل القوى لا يتسع وقته للعواطف

وارتفع صوت احدى العاملتين فى مدخل المسكن وهى تقول بلهجة احتجاج :

— لولا الفاقة وسوء الحال لما اضطررنا الى الحضور فى هذا الجو الماطر الممتلىء بالضباب ..

وقال كارلتون للمليونير ، وهو يتأمل صورة كبيرة لارثر انجل

كانت موضوعة على رف المدفأة :

— اظن انك لا تعرف آرثر انجل شخصا .. انه محتال عنيد شديد الذكاء .. انه يؤمن بالانقلابات وبكل انواع الثورات الدموية وتوقف فجأة عن الحديث حين سمع انينا خافتا ينساب من المليونير الواقف بجانبه .. فلما التفت اليه مسرعا ، رآه واقفا في منتصف الفرفة ، مستندا في قوة على حافة المائدة ، ورأى وجهه شاحبا وقد نمت عيناه عن لون من الفزع الذي لم يشهد له المفتش مثيلا على وجه رجل من قبل . ووثب المفتش الك نحو المليونير وامسك به قبل أن يسقط على الأرض ، وساعده في الوصول الى مقعد وثير ، حيث تهالك المليونير جالسا ، وأخفى وجهه بين يديه ، وراح يتعمتم وهو يتمايل ذات اليمين وذات الشمال :

— اوه .. يا الهى !

ثم سقط مغشيا عليه ..

وتمتم المفتش كارلتون بصوت خافت كأنما يحدث نفسه :

— باللفزع الذي ارتسم على وجهه !



الفصل الرابع

الميت الحى

قال المستر هارلو باسماء وهو يضع قدح الماء على المائدة بعد أن أفاق من غشيته :

— اضطراب بسيط فى القلب .. اننى آسف جدا لكل ماسببته من ازعاج لك يا مس ريفرز .. والواقع أن هذه النوبات القلبية كانت قد انقطعت منذ أعوام

ثم مسح جبينه ونهض واقفا ، ولكن المعتش الك أسرع يقول له :
— دعنى اصحبك الى بيتك يا مستر هارلو

— لا .. لا ، شكرا ، لا داعى لان ترهق نفسك بشأنى ، إن سيارتى واقفة فى مدخل العمارة

ولكن الك ، مع هذا صحبه الى السيارة حيث سمعه — لدهشته البالفة — يطلب من السائق أن يمضى به الى محطة توليد الكهرباء فى شيرنج كروس

ويبدو أن العاملين بتلك المحطة كانوا يعرفون المستر هارلو ، لانهم تركوه يدخل بهدوء ، ويجلس فى مكان منعزل بين آلات التوليد الكهربائى الضخمة . وقد ظل جالسا بين هدير المحركات نحو ساعة مستغرقا فى التفكير . ذلك ان من عجائب أمر هذا المليونير ، أنه كان يلجأ الى هذا المكان الصاخب الهائل كلما أراد أن يفكر ويمعن التفكير فى أمر خطير

وبعد أن فرغ من التفكير ، دس فى يد العمل هارى الذى حمل اليه قدح القهوة مبلغا من المال ، ثم عاد الى سيارته وطلب من السائق أن يتجول به حول ميدان بيكاديللى ، ذلك الميدان الذى شهد مولده ، وشهد ارتفاع شأنه فى الحياة

ولكى نفهم حقيقة أمر المستر ستراتفورد هارلو ، ينبغي أن نقدم
خطوطا سريعة تصور نشأته

لقد كانت عائلة هارلو تتكون من خمسة أفراد فقط ، عندما خرج
ستراتفورد سيلوين مورتيمر هارلو الى الوجود . وكانوا جميعا
من الاثرياء الكبار . وقد ماتت أمه بعد مولده بأسبوع ، ومات أبوه
بعد ثلاثة أعوام ، تازكا الطفل في حضانة عمته المس ميسى ، وكانت
عائسا عجوزا غريبة الاطوار في نظر الجميع ، لاسيما في نظر أسرتهاء،
ولم يلتحق الطفل بأية مدرسة ، لان صحته كانت دائما اقل من
المتوسط ، ومن ثم كان ينبغي تعليمه على يدي عمته التي كانت
واسعة الثراء ، ليس لها من اهتمامات في الحياة غير الاسراف في
رعاية الطفل والاهتمام بأمره . وقد بلغ أمر اهتمامها به ، انها
كادت تفقد عقلها بسبب تدخل أفراد الاسرة بينها وبينه . ولم يكن
أفراد الاسرة غير اختين لها ، واخ آخر مقيم في نيويورك ، كان
يرسل خطابات دورية للاستفسار عن حالة الطفل

وقد حدث أن قامت مشاجرة عنيفة بين العممة ميسى وبين
اختيها - وكانتا عانسين أيضا - أدت الى اغلاقها لآبواب قصرها
المسمى كرافلى هول ، والرحيل بالطفل ومديرة البيت المستر ادوين
للاقامة في فيلا صغيرة ببلدة تيجموت . وفي هذه الفيلا عاشت سبع
سنوات بعيدا عن مشاغبات اختيها . وبعد ذلك رحلت الى
سكاربورد حيث عاشت ثلاثة أعوام ، ومنها الى بورتموث . وكانت في
كل شهر ترسل خطابات دورية الى اختيها في لندن ، والى أخيها
في نيويورك ، تخبرهم فيها عن أحوال الطفل ستراتفورد بأسلوب
« البلاغات الحربية الرسمية » . وكانت قد استخدمت مدرسا
شابا له لحية ذهبية صغيرة ، كان يشتغل بالتدريس في جامعة
اكسفورد يسمى مارلنج « وقد تنازلت وذكرت هذه الحقيقة لأخيها
المقيم في نيويورك » . ولكن حدث أن بلغ مسامع العممة اليس حادث
ينطوى على فضيحة تمس المستر مارلنج وتجعله غير صالح لتربية
وتعليم غلام ثرى مثل ستراتفورد . ومن ثم رأت أن واجبها يحتم
عليها الكتابة في هذا الشأن الى اختها العممة ميسى . وبعد وقت
غير وجيز ، تلقت منها ردا تقول فيه أنها قامت بالتحريات اللازمة

التي أثبتت أن كل ما شاع حول سمعة المستر مارلنج ليس له أى أساس من الصحة

وقد حدث هذا قبل وفاة المس ميرسى بعام .. فلما صعدت روحها الى بارئها ، أسرعت أختها المس اليس الى بلدة بورتموث حيث كانت أختها المتوفاة تقيم فى فيلا منعزلة بالقرب من قرية كريستشرش ، وهناك وجدت فى استقبالها « الطفل » العزيز ، فاذا به قد أصبح شابا فى الثالثة والعشرين من عمره ، طويلا عريض الكتفين ، لا أثر للدموع فى عينيه .. بل كان فى الواقع باسمما ، مرحا ، وكأنما هو سعيد بتحرره من سيطرة عمته المتوفاة المس ميرسى

وقالت مديرة المنزل « الباكىة » المسز ادوين ان المدرس الشاب ذا اللحية المستر مارلنج كان قد استقال من عمله ورحل عن البلدة قبل وفاة المس ميرسى بأسبوعين

وقد علقت المس اليس على هذا بقولها فى لهجة كلها الجفاء :
- ولو لم يرحل ، لما جعلته يبقى الان ساعة واحدة

وعقد مؤتمر انضم اليه محامى الاسرة ، الذى لم يكن قد رأى ستراتفورد من قبل ، وقرر ان يتخذ الشاب مسكنا له فى بارك لين ، وأن يكون له رائد متزن التفكير ، يعيش معه ، ويقدم اليه النصيحة ، ويهديه سبل الرشاد . وقد وقع الاختيار على القس المحترم جون بارثرست الذى كان قسا سابقا بالبحرية . أما المسز ادوين ، مديرة البيت ، فقد منحت معاشا شهريا ثابتا ، واستغنى عن خدماتها

وبدا ستراتفورد حياته الجديدة بمادة عشاء فاخرة فى مسكنه الجديد ببارك لين ، ثم بمشاهدة المسرحية الهزلية « عمة شارلى » حيث كان هو المتفرج الوحيد الجالس بوجه جامد بين آلاف المتفرجين الضاحكين الهاتفين

وظلم الشاب صائرا على توجيهات رائده وارشاداته نحو عام تقريبا ، ثم اذا به يتحرر منه ، ويقدم اليه صككا بألف جنيه على خدماته ، ثم يعيد المسز ادوين الى خدمته لإدارة منزله ، ثم اشتوى قصر الندوق جرنهارت فى بارك لين أيضا ، وجدد بناءه ، واتخذ مسكنا فاخرا له

ومنذ ذلك الحين بدأ اسم هارلو يتألق في دنيا المال والصفقات الضخمة ، كما راحت ثروات أفراد الأسرة تتساقط بين يديه الواحدة بعد الأخرى ، فورث عن عمته المس ميري كل جنيه من ثروتها الطائلة التي أوصت بها كلها له « ولكنها لم تنس أن توصي بمائة جنيه للمسر ادوين ، نظير خدماتها فيما بين عامي ١٨٩١ - ١٨٩٧ » وحين ماتت العمه هاربيت ، ورث عنها الجزء الأكبر من مليوني جنيه ، ثم ورث عن عمته المس اليس أكثر من مليوني جنيه . . أما عمه المقيم في نيويورك ، فلم يرث عنه إلا هذا المبلغ « الحقير » نسبيا ، الذي لم يتجاوز ستمائة ألف جنيه !

وكان قصر المستر هارلو قبيح الشكل ، مكونا من ثلاثة طوابق ، وقائما في منطقة من أثنى مناطق شارع بارك لين ، ولكن بابه لم يكن على هذا الشارع . . وإنما يقع في شارع آخر جانبي متفرع منه

وبعد أن فرغ المستر هارلو من جولته بالسيارة في ميدان بيكاديللي ، عاد الى القصر ، وفتح الباب بمفتاحه الخاص ، ودخل البهو الكبير . . وكانت قاعة المكتبة في مواجهة الداخل تماما . وعلى إحدى المناضد ، كانت ثمة بعض الرسائل التي مر عليها المستر هارلو بنظراته سريعا ، ولم يفتح غير رسالة واحدة منها . . وراح يقرأها بامعان ، ثم قال لنفسه بعد أن القى بها الى نيران المدفأة :

— ان النبرى رجل مفيد حقا ، ولكن أعصابه متوترة بسبب لهفته الشديدة على خدمتى باخلاص . ولهذا يحسن أن أخفف من توتر أعصابه ، وذلك بأن أجعله يشعر بمزيد من الثقة في شخصي ، والاطمئنان الى نواياي

وضغط على زر عاجي على مكتب أماله . . ثم جلس الى مقعد ، ومد يده الى لوح في الجدار فحركه من مكانه ، وتناول من مخبأ سرى زجاجة ويسكى وسيفون سودا ، وصب في قدح كمية قليلة جدا من الويسكى . . ثم ملأ الجزء الباقي الى الحافة بماء الصودا ، وشرب نصف القدح عندما اقبلت مديرة بيته المسز ادوين دون أن تنقر على الباب استئذانا بالدخول . وكانت امرأة طويلة نحيلة الجسم ، شاحبة الوجه ، سوداء العينين ، متوقدة النظرات رغم بلوغها السبعين من عمرها

وقالت بصوتها الحاد الصافى كصوت النفير ، وبداها معقودتان وراء ظهرها :

- هل صلصلت الجرس ؟

- نعم .. هل كل شئ على ما يرام ؟

- كل شئ ..

ثم اردفت قائلة فى احتجاج :

- الا يمكن الاحتفاظ بخادم فى البيت ؟ .. اننى اسهر حتى

الواحدة بعد منتصف الليل ، ثم اضطر للاستيقاظ فى السابعة

لكى افتح لهم الباب ليدخلوا



وكان من عجائب حياة المستر هارلو المنزلية ، انه لا يسمح بمبيت أحد من الخدم فى قصره ، فيما عدا مديرة البيت المسز أدوينز .. أما الباقون ، فقد أقام لهم منزلا فاخرا للنوم بالقرب من بارك لين ، فكانوا يأتون الى القصر فى السابعة صباحا ، ثم ينصرفون بعد الفراغ من أعمالهم مساء

ورد عليها المستر هارلو قائلا ، وهو يلوى شفتيه :
- لا .. اعتقد أنه لا داعى لهذا ، وكنت اظن أنك تفهمين السبب !

- اننى قد اموت ، أو اصاب بنوبة مرض شديد اثناء الليل .. فكيف يكون الحال عندئذ ؟

فابتسم وقال :

- الحال عندئذ يتوقف على المكان الذى تكونين فيه !

ففكرت يرهة فيما يعنى من قوله هذا ، ثم قالت :

- لقد سأل عنك شخص ما ، ولكننى سأخبرك بأسره فيما بعد

فhez كتفيه وقال :

- ان أشخاصا كثيرين يسألون عنى ، وعلى هذا يمكنك ان

تكونى غامضة كما تريدن

ثم نهض وتقدم الى مصعد صغير فى الجدار ، وفتح بابه

الحديدى ، ودخل فيه ، ولكنها ابت أن تركب معه قائلة :

- اننى اكره استعمال هذا المصعد اللعين - لسوف اصعد على

السلم

وَابْتَسِم هو ، وانطلق بالمصعد الى الطابق الثالث حيث غادره الى دهليز مفروش بالسجاد به بابان .. وانتظر حتى لحقت به المسز أدوينز ، ثم تناول من سلسلته إلهية مفتاحا صغيرا ، فتح به الباب الايسر ، ودخل الى غرفة واسعة رائعة الرئاش ، تضيئها مصابيح غير مرئية .. وفي ركن منها فراش من الخشب الفاخر المنقوش بزخارف من الذهب الخالص ، والى مكتب صغير ثمين بجوار النافذة ذات الستائر الحريرية ، جلس رجل في حجم المستر هارلو تقريبا ، ولكنه يتميز بجبين عريض مرتفع ، ولحية صغيرة ذهبية ليس فيها أية آثار للمشيب ، رغم أنه يقارب المستر هارلو في العمر ..

كان مستغرقا في القراءة ، معتمدا برأسه على يده ، ولم يشعر بدخول أحد الغرفة ، ولم يرفع رأسه الا عندما سمع هارلو يقول :
- هاللو مارلنج !

وتراخى الرجل في مقعده ، وطوى الكتاب بطريقة آلية بعد ان وضع بين صفحتي القراءة قاطعة ورق ذات مقبض من الصدف .
ثم قال ببساطة :

- طاب مسؤوك ..

- لقد حان وقت استمتاعك برياضة المشى ! .. اليس كذلك ؟
ونظر هارلو الى باب آخر بالغرفة ، وعندئذ نهض الرجل وهو يقول :

- نعم .. اعتقد هذا

وكان يرتدى بذلة ذات سترة من المخمل الكحلى ، وينتمل شبشبا أحمر اللون من الجلد المراكشى ، وعاد ينظر الى الكتاب كأنما عز عليه أن يحرم من مواصلة الاستمتاع بالقراءة ، ثم قال :
- ملحمة هوراس ، ترجمة إنجليزية ، ولكنها مشحونة بالأخطاء

وكانت المرأة العجوز واقفة منتصبة القامة ، عاقدة يديها أمامها مركزة نظراتها المتوقدة على المستر هارلو الذى قال للرجل :

- أعترف من أنت يا صديقى ؟

ووضع الرجل ذو اللحية يده الشاحبة على جبينه ثم قال :

- اننى سول مارلنج ، خريج كلية باليول باكسفورد

واوجها المستر هارلو يراسه وقال :

- و ... وماذا ايضا ؟

ومرة اخرى ارتفعت اليد الشاحبة الى الجبين العريض الكبير ،
وقال الرجل :

- آه ، نسيت .. يا للغرابة ! انه شيء رأيته ؟ اليس كذلك ؟

- شيء رأيته !- قبل وفاة عمتي المس ميري بقليل ؟

- نعم .. لقد ماتت فجأة .. وكانت دائما شديدة العطف على
في شاكلي . آه ، ماتت فجأة .. لقد كانت متعودة أن تجلس
وتتحدث اليك ، ثم حدث ذات ليلة بعد العشاء ان سقطت ..

فقال هارلو متتما في صوت يكاد يكون سعيدا :

- على الارض .. ولكنك رأيت شيئا .. اليس كذلك ؟ زجاجة
صغيرة فيها مادة زرقاء ! .. انتبه يا مارلنج .. انك تتذكر
الزجاجة الصغيرة ذات المادة الزرقاء

وهز الرجل راسه ، وقال :

- ليس بوضوح .. كان هذا قبل ان تأخذني ، انت والمسز
أدوين ، بعيدا

وشربت المساحيق البيضاء ، لقد كانت تثر كالغورات .. ثم ..

وابتسم هارلو ، وقال متتما :

- الى الريف .. لقد كنت مريضا يا صديقي العزيز المسكين ،
واضطررنا الى اعطائك دواء لتهدئك .. هل انت بخير الآن !
- ان رأسي مضطرب بعض الشيء ..

وضحك هارلو ، وتناول ذراعه في مودة ، ومضى الى باب الضيق ،
وخرج منه مع صاحبه ، وصعد بضع درجات الى باب آخر فتحة
المستر هارلو ، فاذا هما على سطح جرنبهارت هاوس ، وكان سطحها
مستويا مهذا بالاسفلت ، يحيط به سور من الحجر ارتفاعه نحو
خمس أقدام . وقد ظل الاثنان يتمشيان ، جنباً الى جنب ، وهارلو
يتحدث طيلة الوقت . وأخيرا قال هذا :

- أتجد الجو باردا ؟ . حسنا ! هلم نهبط

ولما عادا الى الغرفة الفاخرة ، اغلق هارلو الباب الضيق ، ثم
تلفت في جوانب الغرفة في رضاء ، وأخيرا تناول مجلدا من المجلدات

الثمانية الموضوعة على المكتب وقال :

— ان القراءة هي التي تصنع الانسان الكامل ، ولسوف تجد تاريخ أوغسطس عسيرا حتى على خريج إحدى كليات أكسفورد .. طاب مسألك يمارلنج .. نم مستريحا

وغادر الغرفة ، وأغلق الباب من الخارج ، وسار في الدهليز مع المسز أدوينز التي كانت نظراتها المتوقدة مركزة على وجهه . ولم تنطق بكلمة حتى تحدث هو قائلا :
— انه بخير تماما ..

— أحقا ؟ كيف يمكن أن يكون الأمر كما ينبغي وهو يقترا .. ويكتب !

فسألها بسرعة قائلا :

— ماذا ؟ أكتب أيضا ؟

— اوه ، انه يكتب ملاحظاته عن الرومان ، ولكن ما يكتبه لا بأس به

— ان هذا لا يعنى شيئا .. يكفي أنه لا يشاغب

— لا ، انه لا يشاغب ، ولكننى أشعر بالقلق .. من هو ذلك المدعو المستر كارلتون ؟
— من ؟! اكان هنا ؟

— نعم ، بعد الظهر .. لقد سألنى هل أنا وصيفة المس ميسى العجوز . وقال انها ماتت قبل أن يولد هو
— انه أكبر سنا من ذلك .. حسنا !

— وقال أيضا انه مكلف بمعرفة أين اختفى المستر مارلنج !

— من الذى كلفه بهذه المهمة ؟

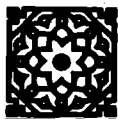
— لا أدري ، ولكنه كان يحمل امرا رسميا بالبحث عنه .. لقد أطلعننى على الاوراق الرسمية التى تثبت هذا ، وهى صادرة من إيستبورن ، وقد قلت له ان مارلنج مات . ولما سألنى أين مات ، قلت له فى أمريكا الجنوبية

فقال هارلو مؤكدا عليها :

— فى برنامبيكو اثناء وباء الطاعون الذى حدث بها .. حسنا ..

شكرا

ثم مضى الى المصعد وهبط به ..
ومادت هي تسير في الدهليز الى الباب الثاني حيث فتحته ،
ودخلت الى غرفة فاخرة الرياش أيضا حيث جلست في متكأ
مريح ، وتناولت قطعة من القماش المنمنم ، وراحت تعمل فيه
إبرتها ، وهي تغمم قائلة لنفسها
- في برنامجيكون أثناء وباء الطاعون !



مقابلة في الحفاء

كانت ايلين ريفرز تقيم في شارع بلومسبرى القريب من مقر عملها .. وكانت قد أمضت ليلتها في أرق ، ويومها في ضيق وقلق لأن رئيسها العجوز الطيب المستر ستينجز كان غائبا في اجازة مرضية ، وكان شريكه الاصغر منه سنا متعبا في معاملاته مع مرعوسيه ، ومن ثم تنهدت في ارتياح عندما حان وقت انصرافها من العمل في السادسة مساء .. فأغلقت أدراج مكتبها ، وتهيأت للانصراف ، وهى تشعر بالجوع الشديد

وكانت قبل ان تنصرف من مكتبها ، قد لمحت سيارة صغيرة واقفة بالقرب من مدخل بناية الادارة .. ومن ثم ظنت انها سيارة احد العملاء ، ولكنها فوجئت بالمفتش جيمس كارلتون يستقبلها باسمها وهى تنصرف عن الادارة ، وتوشك ان تعبر الطريق .. ولم يرسم السرور على وجهها حين رآته ، وانما قالت له في ضيق :

— اوه ، اهذا انت ؟ !

— نعم انا .. ولكن ، لماذا يبدو الضيق عليك عند رؤيتك لى ؟

ثم أردف قائلا فى شىء من الحزم :

— ان من حقى انا والمفتش لك ان نوجه اليك الاسئلة فى اية ساعة من ساعات النهار أو الليل بشأن حادث السرقة الذى وقع فى مسكن خالك !

فقالت فى استنكار شديد :

— ولكن بماذا يمكن بحق السماء أن أخبركما ؟ فانت مثلا تعرف

كل شىء عن هذا الحادث .. اليس هذا ما تعنيه ؟ ..

— يبدو أنك لا تعرفين شيئا عن نظام المباحث الجنائية في بلادك .
.. لعلك تظنين أنه اذا وقعت جريمة سرقة مثلا في شارع فكتوريا ،
فما على رجال المباحث الجنائية الا أن يذهبوا الى مكان الحادثة ،
ثم يفركون أيديهم سرورا لان الامر ليس خطيرا كما ظن الجميع ،
وتنتهى المسألة عند هذا الحد

— اننى فى أشد حاجة الى الطعام منى الى الكلام ..
— هذا ما خطر لى ، أن فى شارع كنجز كروس مطعما صغيرا
مشهورا بجودة مأكولاته

فترددت برهة ، ثم قالت :
— حسنا ، لا بأس .. أهذه سيارتك ؟ ما أغرب شكلها !

فقال فى كبرياء :
— ليس فيها ما يدعو الى التهمك ، ثم انها ليست سيارتى .. لقد
استعرتها من صديق

وكانت الليلة صافية الاديم ، متألقة النجوم ، ولكن الهواء
كان باردا .. ومن ثم شعرت بالراحة والدفء عندما جلست
مع كارلتون الى مائدة صغيرة أنيقة فى قاعة المظم المزدهم الذى
كانت جدرانها مكسوة بالخمل وأرضيته مفروشة بالسجاد الفارسى
وفىما كان الخادم يحضر اليهما الطعام ، تأملت ايلين وجه كارلتون
مليا ، ثم قالت :

— والآن هات أسئلتك الرهيبة .
— السؤال الاول : ماذا عرض عليك هارلو فى الليلة الماضية ؟
— أن ما عرضه على ليس له أية علاقة بالسرقة ، وليس الامر
بذى أهمية ، ولا بأس أن أقول لك .. لقد عرض على عملا
— أين ؟

— لا أدرى ، لاننى لم أسأله ، وانما قلت له اننى مستريحة فى
عملى مع المستر ستينجز ، الذى كان ، بهذه المناسبة ، المحامى
السابق لآل هارلو

— وهل اخبرته بهذا ؟
— عجبا !.. لقد عرف أن المستر ستينجز هو المحامى السابق
لاسرتة بمجرد أن ذكرت اسمه

وبعد برهة صمت ، قالت له بلهجة جادة :
- والان ماذا تريد أن تسألني بشأن السرقة ؟

- لا شيء في الواقع .. وأخبرك بهذه المناسبة أنني جنتك
الكثير من المتاعب بأن ذكرت للمحقق كل التفاصيل التي أرادها
عن الحادث . والان هل تعلمين أن خالك سوف يخرج من السجن
غدا ؟
- غدا ؟!

- نعم .. وسوف يذهب المفتش الك لاستقباله عند الخروج
وأخبره بأمر السرقة حتى لا تتعرضي أنت لفضبه
- أوه ، لسوف يكون غاضبا أشد الغضب .. ولكنني مسرورة
بخروجه أخيرا من السجن لاني سأنفض يدي عندئذ من شؤنه .
لقد كان يعطيني جنهين في الاسبوع مقابل رعاية شؤنه هذه ..
ولكنني في غنى عن هذا المبلغ
فقال كارلتون :

- كان على آرثر انجل أن يخجل من نفسه لتعريضك للضوء
المسلط عليه بسبب جرائمه ، والان أريد أن ألقى عليك سؤالا واحدا
بشأن خالك ، هل كان من رجال الاستثمار المالي ؟
- لاظن .. بل لا في الواقع لأعرف ، انه لم يتحدث معي في
هذه الشئون المالية ، ولكن هل تعني أنه يستثمر أمواله في
الاوراق المالية ؟

- نعم ، وأعني على الاخص استثمار هذه الاموال في المشروعات
الامريكية والعالمية المضمونة النجاح .
- لا أظن .. انني أذكر أنه قال لي يوما وأنا أزوره في السجن
أنه لا يؤمن بوضع أمواله في أيدي مديري الشركات المساهمة
- لم يبق غير سؤال واحد : هل تعلمين ما اذا كانت له علاقة
بشركة تسمى شركة رانا ؟

فلما أكدت له أنها لم تسمع بهذه الشركة من قبل ، زالت من
وجهه امارات الجذ ، فلانت ملامحه قليلا وهو يقول :
- لقد انتهى الاستجواب .. والان ماذا تشيرين ؟ خمرأ ، أم عصير
الليمون ، أم الماء القراح !

واخذ بعد ذلك يتحدث بطريقته الحقيقية المرحية ، فيسرد لها بعض ذكرياته عن عمله بقسم المخابرات السرية اثناء الحرب ، وعن انتصاراته في اسكتلانديارد ، ثم يزهو بقوله أنه حتى تلك اللحظة لم يهزم ابداً أمام أحد المجرمين . وقال لها أنه يقيم في مسكن خاص فوق النادى الملحق به

ثم اردف قائلاً :

- يحسن أن أعطيك رقم تليفوني مع العنوان حتى تستدعيني في اى وقت بالليل أو بالنهار اذا لزم الامر

وخط العنوان والرقم على قصاصة ورق من قائمة الطعام ، هذا بينما قالت ايلين في دهشة ممتزجة بالخوف :

- ولماذا قد أضطر الى استدعائك

- اننى لا أدري .. ولكن شعورا ما يخامرني بأنك قد تحتاجين

الى مساعدتى يوما ..

ونظرت هى في ساعة يدها ، ثم تناولت قفازها ، ونهضت وهى تعلن رغبتها في العودة الى البيت . وفي اثناء الطريق ، قال لها :

- اننى لم أسألك كثيرا عن نفسك ، وأخشى فى الواقع أن اسبب لك بعض الحرج ، ولكننى استطيع ان افهم أنك غير متزوجة .. أو مخطوبة !

فقالت فى شيء من الارتباك :

- اننى لست مرتبطة باحد فى هذا الشأن ، وأرجو الا يكون فى تصريحى هذا مايشجع بعض رجال الشرطة على التمادى فى .. فى جراتهم !

- عظيم جدا ، الواقع أنك أول فتاة ...

حذار من التمادى ...

- أول فتاة خفيفة الظل حقا ...

- اه ، لقد وصلنا .. ان مسكنى فى هذا المنزل ، الثالث على اليسار ، شكرا لك

ولما هبطت من السيارة ورائه يحملق فى الظلام الى مدخل البيت ، قالت باسمه :

- لا داعى لان تجهد عينيك ، ان رقم المنزل هو ١٦٣ ، ولكن

لا حاجة بك لان تكتب الى او تزورنى الا اذا كان الامر يتعلق بشان من الشؤون البوليسية . طابت ليلتك ..

وكان كازلتون يبتسم لنفسه ، وهو فى طريقه الى مقابلة السير جوزيف ليتون وزير الخارجية .. وهناك ، فى مكتبه بالوزارة ، قال الوزير باسماء :

- اجلس ياكارلتون ، ماذا وراءك ؟ أه ، لاشك أنك جئت للاستفسار عن نشاط تلك الشركة ! ماهى تطورات الامر ، لقد قرأت البرقيات التى أرسلتها الى . ويخيل لى ان لظنوك أساسا من الصحة

فقال كارلتون :

- نعم ياسيدى ، ان الجانب الاكبر من مراسلات شركة رأتا الى الخارج قيم برسائل مجهولة ، ولكن المراسلات القليلة التى امكننا ان نظفر بصور منها تدل على أن هذه الشركة تنوى أن توجه للسوق المالية ضربة جديدة . واعتقد ان كل مكتب سمسرة مالية كبير فى العالم قد تلقى منها توجيهات معينة

وأخرج السير جوزيف من أحد ادراج مكتبه مجموعة من الاوراق ، ثم قال :

- أعتقد ان هذه صورة من هذه التوجيهات

وكانت هذه الاوراق عبارة عن رساله مرسلة الى فرع شركة رأتا فى وول وستريت بنيويورك ، وقد جاء فى أولها ما يلى :

« استعدوا للبيع بزيادة ١٥ ٪ .. لاحظوا الضمانات التى سنذكرها لكم »

ثم تبع ذلك ثلاث صفحات ممثلة بالكتابة ، وأمام كل نوع من الاسهم ، العدد المطلوب بيعه بتلك النسبة مع التوجيهات اللازمة وقال السير جوزيف فى صوت ينم عن الدهشة :

- ان هذا الامر عجيب جدا ، فهذه الاسهم كلها من النوع الذى تهبط قيمته عند نشوب حرب عالمية ، او ظهور مايدل على قرب نشوبها . واعتقد ان العالم الان يمر بفترة من السلام لم يشهد لها مثيلا من قبل .. فما معنى هذا ؟

وتناول كارلتون الاوراق وراح يقرأها فى حرص وامعان ، بينما

قال وزير الخارجية باسمًا :

- اعتقد انك تظن ياكارلتون أن هناك عصاة دولية من تجار الأسلحة ، تعمل على اشغال نيران حرب عالمية أخرى ، وأن أفراد العصاة ينتقلون في طائرات خاصة ، ويهبطون في مطارات سرية ، ويجتمعون في سرايب تحت الأرض مع الكبراء من رجال الدبلوماسية الذين يحضرون هذه الاجتماعات بوجوه محجوبة بالاقنعة ! فابتسم كارلتون بدوره ، وقال :

- لا ، لم يمتد خيالي الى هذا المدى بعد .. ولا اظن ان الحروب تنشب على هذا النحو ، وانما هي كالعاصفة التي تتجمع من بعيد ثم تهب فجأة

- حسنا جدا ، والآن ، من هو في رأيك ، الرجل الذي يجمع العاصفة ليقذفها على العالم ! اعتقد ان هارلو هو الرأس المحرك لشركة راتا ، وهو الذي يتلاعب بأقدار الامم في الوقت الحاضر ! فقال كارلتون ببطء :

- اعتقد ان هارلو وراء كل اضطراب مالي او نزاع دولي في العالم .. ان لديه من المال اكثر مما ينبغي ان يكون لرجل واحد، لا يمكنكم ان تأخذوا منه جانبا ؟!

فقال الوزير بحفاوة :

- انا نبذل جهدنا في هذا السبيل ، ولكنه واحد من القلائل في انجلترا الذين يستطيعون تحدى أية مصلحة ضرائب في العالم ، لانهم يؤدون ما عليهم من ضرائب بلا أية مراوغة أو تلاعب

وعاد كارلتون الى اسكتلنديارد حيث علم ان زميله المفتش الك قد رحل الى برنستون لمقابلة آرثر انجل عند خروجه من السجن . وكان المفتش الك يريد ان يعرف وقع تأثير نباء السرقة على وجه آرثر انجل ، عندما يعلم بأمرها اول مرة ، ثم يحاول بعد ذلك ان يستدرجه ليعرف علاقة المستر هارلو بالامر ، والسر الذي جعله يلجئ في الليلة السابقة الى مسكن انجل ، رغم أنه كان مدعوا في تلك الليلة الى حفلة عامة نشرت الصحف في اليوم التالي اسمه على أنه كان أحد المدعويين الذين حضروها

وفي الصباح الباكر ، كان الك واقفا في محطة برنستون ، ينتظر

تحرك القطار الى لندن . . وكان قد شاهد آرثر أنجل وهو يقبل الى المحطة مع أحد حراس السجن ، ثم وهو يستلم التذكرة ، ويركب القطار . ولما بدأ هذا يتحرك ، وثب اليه المفتش إلك ثم دخل المقصورة التي جلس فيها أنجل بمفرده ، وما كاد هذا أن يراه ، حتى هتف مرتابا !

— هه ! ماذا تريد ؟

فتظاهر إلك بالدهشة وقال :

— آه لتصعد روجي الى السماء أن لم يكن هذا هو آرثر أنجل بلحمه ودمه ، حسنا ، حسنا ، ان السنوات تمر . .

— قل ، ماذا تريد مني الآن ؟

— انا ؟ لأشئ ، لقد كنت أقوم في السجن ببعض التحريات من موضوع بسيط لا شأن لك به وأشعل إلك سيجارا ، وقدم آخر لارثر أنجل الذي تقبله بسروره ثم قال المفتش :

— أذكر أنني قرأت اسمك أو سمعت بشئ يهيك أمس ! آه ، تذكرت ، أن الامر يتعلق بحادثة السرقة التي وقعت في مسكنك وسقط السيجار من يد آرثر أنجل وهو يهتف بصوت مرتفع :
— حادثة سرقة ؟ ماذا سرقوا ؟!

— فتح السارق خزانك الحديدية الموضوعة في غرفة نومك القديمة و . . .

فوثب أنجل واقفا ، وقال وعيناه تقدحان شررا :

— الخزانة ؟ فتحوا الخزانة ؟ ألم يكفهم أنهم أبعادوني عنهم خمس سنوات ، فهم يريدون أن يعيدوني الى السجن مرة أخرى ؟ اليس كذلك ؟

وتركه إلك يشور كما يريد ، حتى اذا هذا أخيرا قال له :

— أرجو ألا تكون قد فقدت مبلغا كبيرا ؟

فكشر الرجل عن أنيابه وقال :

— مبلغا كبيرا ! أنظن أنني من النوع الذي يحتفظ بأمواله في الخزائن ؟!

ثم وجه اصبع الاتهام الى المفتش ، وقال :

— انكم تعرفون ماذا فقدت . فأنتم الذين قمتم بهذه السرقة ،
عدا ماجمك تأتي الى هنا الآن . انكم تريدون ان تعيدوني الى
السجن فوراً !!

فقال المفتش بلهجة احتجاج :

— اننى لا افهم ماذا تعنى يا صاحبى ؟ ولكى اؤكد لك انك مخطئ
فى ظنك ، اقول ان من حقت الآن ان تهبط فى اية محطة ، او ان تنتقل
الى اية مقصورة أخرى ، او ان تمتنع عن الاجابة على أى سؤال ..
ثم اردف قائلا :

— اذا لم يكونوا قد سرقوا مالا ، فماذا سرقوا اذن ؟

وبعد برهة صمت ، قال الرجل :

— اذا لم تكن تعرف ، فلن أخبرك بطبيعة الحال

ثم اردف قائلا وهو يطحن على اسنانه وينظر الى المفتش شزرا :

— أنك وأمثالك تسموننى لصا ، لقد وضعتكم على جيبينى دمغة

السجن ، لقد عزلتمونى عن المجتمع المحترم ، وجعلتمونى منبوذا ،

طريدا ... لماذا ؟ لأنى أخذت شيئا قليلا جدا من المبالغ الهائلة التى

اغتنصها بعض رجال المال من الطبقات الكادحة ، بوسائل خفية

ملتوية لاتصل اليها يد القانون .. ان ما أخذته هو جزء من مالى ..

ثم ضرب مسند المقعد بجمع يده ، وهتف قائلا :

— ان المال الذى جمعته هو مالى ، ومال زملائى هناك .. فى

السجن ، وفى خارج السجن ، لقد أخذته من أولئك الذين اقاموا

صروح ثرواتهم على أشلاء البؤساء ..

فقمغم لك فى عطف قائلا :

— معقول !

— اسخر منى ما شاءت لك السخرية ، ولكننى اقول لك ان

ما سرقوه لا يزيد على أوراق وتقارير ستجعلهم لا ينامون الليل ..

اننى اكره الانجليز ، اكره الطبقة المتوسطة ، والطبقة التى ينتمى

اليها امثال سترا تفورد هارلو ، اننى اكره هذه الطبقات التى كانت

تتفرح على وأنا أسكب العرق فى التمثيل لكى تضحك او تتسلى !

فابتسم لك وقال :

- لا تنس أن هارلو رجل محسن ، وأنه يقدم مراكز الشرطة
كهدايا في رأس السنة

ولما وصل القطار الى بليموث ، هبط الك منه وأرسل البرقية
التالية الى جيمس كلراتون « الموقوفات مواد وتقارير ثورية ،
لا شيء مهم »

وعاد الى القطار ، وراح يتبادل الحديث مع آرثر انجل ويسرد
عليه تفاصيل حادث السرقة ، فلما أخبره بحضور هارلو الى مسكنه ،
قال الرجل في دهشة :

- هارلو ! لماذا جاء ؟ أتقول أنه قابل ايلين في دارغور ؟ آه ، أننى
أذكره الآن . لقد كان جالسا في سيارته يراقبنا ونحن نسير في
الحقل الى أبواب السجن .. إذن فهذا هو المدعو هارلو ! ماذا يريد
منى ، أو من ايلين ؟

ثم هز كتفيه وأردف قائلا :

- انها جميلة بلا شك ، ولعله يجرى وراءها ليغريها بأمواله ،
ولكن لا شأن لى بهذا ، فان فى مقدورها ان ترعى شئونها بنفسها
بلا تدخل من جانبى



وكان قد أ برق اليها لتزوره فى مسكنه فى مساء ذلك اليوم ،
وهكذا ما ان فرغ من طعام عشائه الذى أعده بنفسه ، حتى أقبلت .
وقال لها يقاطع حديثها عن حادث السرقة :

- نعم ، نعم ، سمعت بهذا .. انهم لم يظفروا بشيء يساوى
شئنا .. حمدا لله .. ولكن لماذا استدعيت رجال الشرطة ؟

فقالت له ساخرة :

- عجباً ! اكنت تريد أن استدعى طبيبا ؟ ماذا يفعل الانسان عادة
حين يكتشف أمر سرقة فى مسكنه ؟

- حسنا ، حسنا ! انك تعرفين ستراتفورد هارلو .. اليس
كذلك ؟

- نعم .. التقيت به فى دارغور

- أهو صديق لك ؟

- ليس فى علاقتى به أية مودة ، كما هو شأن علاقتى بك

فصلته هذه الاجابة ، ولكنه تمالك نفسه وقال :
- اننى لا اريد ان اتشاجر معك ، لقد كنت مفيدة لى اثناء
سجنى ، ولكننى لم اعد فى حاجة الى المزيد من خدماتك ..
ثم تناول من حافظة نقوده ورقة مالية ، وقال :
- هذا المبلغ هو مكافأة لك ، لانى لا انوى الاستمرار فى دفع
المرتب الاسبوعى الذى كنت ادفعه خلال السنوات الخمس الماضية
فقلت له دون ان تلقى نظرة واحدة على الورقة المالية :
- اهذا كل شيء ؟ اديك اقوال اخرى ؟
- لا ..

فنهضت واومات اليه ، وسارت فى طريق الانصراف ، وهى
تقول :

- لسوف تحضر عاملتا النظافة الليلة ، ويحسن ان تستبقى
واحدة منهما لتشرف على نظافة مسكنك . ولكننى اعتقد انك قد
دبرت بنفسك هذا الامر .

وقبل ان يجيب عليها ، كانت قد انصرفت ..
واعاد الورقة المالية الى حافظة نقوده بلا ندم ، لانه - برغم ثروته
الطائلة - كان بخيلا

وبدا عمله فى اعادة ترتيب مسكنه والاطمئنان الى المخابىء السرية
التي كان يحتفظ فيها بأوراقه الثورية الهامة . ومن بين هذه
المخابىء التي ما كان ليهتدى اليها أحد ، حتى رجال البوليس ، مخبأ
سرى فى المتكا الكبير بغرفة الطعام . وقد وضع فى هذا المخبأ الكثير
من الأوراق والملفات وجوازات السفر وصندوقا من الصلب فيه المزيد
من الأوراق الاكثر أهمية

وكان آرثر انجل - فى حقيقة امره - ليس ممثلا ، وليس محتالا ،
وانما زعيم من زعماء حركة ثورية هدامة ؟ ولم يكن أحد فى حقيقة
الامر يعرف سر اشتراكه فى هذه الحركة ، أهو الرغبة فى استقلالها
للكسب المادى أو التصنع بالقوة والسلطان فى المستقبل ... شيء
واحد جعل ايمانه يتزعزع بالطبقات التي كان يزعم انه يكافح من
أجلها : ذلك الشيء ، هو ما رآه من فساد الاخلاق فى السجن . لقد
عرف فى السنوات الخمس مئات ، بل وآلاف المسجونين ، وشاهد

من ألوان الفساد ما جعله يشعر بالفنيان كلما تذكره ، وأيقن في أعماق نفسه أنه لو أتاحت له جميع الفرص ليفتح أبواب السجون وأخراج هؤلاء الناس إلى المجتمع ، لما فعل أبدا

وبعد أن فرغ من عمله ، جلس يدخل سيجارة بعد أن وضعها في ميسم أنيق من الكارم ، وفيما هو يستمتع بالراحة والتدخين ، صاصل جرس التليفون بجانبه ، فتناول المسامع حيث سمع صوتا غريبا تماما على أذنه :

– المستر انجل ؟ !

– نعم ..

– هل يمكن أن تضحى ببعض مبادئك ؟ !

فابتسم انجل لنفسه في شحوب ، وقال :

– تعنى ببعض ما تبقى لى من مبادئ ، حسنا ، ماذا تريد ؟

– هل يمكن أن نلتقى الليلة على الطوار المقابل للمعب فرسان

الحرس ؟

– اتعنى في هايدبارك ؟ عجبا ، من أنت ؟ اننى غير مستعد أبدا

لمقابلة شخص غريب ، فأنا رجل مرهق بالتعب

– اننى هارلو .. ستراتفورد هارلو

فندت عن ألوتر انجل شهقة اندهاش رغما عنه ، وقال :

– المليونير !!

– هكذا يقال ..

– انك تطلب منى أمرا غريبا حقا .. ولكن كيف أعرف انك

ستراتفورد حقا ؟

– إبحث عن رقم تليفون قصرى واطلبنى بعد لحظات ، وسوف

تجد اننى الذى أرد عليك

ولما قام انجل بهذه التجربة ، وسمع نفس الصوت يجيب عليه

قال :

– متى تريد أن أقابلك ؟

– فى تمام الساعة العاشرة .. اننى لن أدعك تنتظر كثيرا فى هذه

الليلة الباردة ، ويمكنك أن تركب سيارتى بمجرد أن أشير اليك ،

ثم نمضى معا إلى مكان هادئ ..

واعاد انجل المسماع الى موضعه ، ونظر في ساعته فوجدها
الثامنة مساء ٠٠ وبعد ساعة ، وصلت عاملتا النظافة فزودهما
بارشاداته ، ثم مضى الى غرفة الطعام ورح يمعن التفكير في هذه
المقابلة المنتظرة ، واخيرا مضى الى مكتبه ، وتناول ورقة ، كتب
فيها ما يلي :

« عزيزى المستر هارلو .. »

اننى الآن - بعد خروجى من السجن - تحت المراقبة ، اى
في حالة لا تسمح لى بالقيام بأى عمل قد يعيدنى الى السجن ،
واقول بصراحة ، اننى اخشى ان يكون فى لقائنا الليلة شرك منصوب
للايقاع بى واعادتى الى السجن ، كما اخشى ان يكون رجال
البوليس هم الذين ينصبون لى هذا الشرك . ولهذا لا استطيع
ان اتأبلك حتى اعرف على وجه التحديد ماذا تريد منى ، او علي
الاقل - حتى تسلمنى اعترافا كتابيا بانك انت الذى اردت مقابلتى
فى موعد محدد ومكان معين

المخلص

آرثر انجل «

ووضع الخطاب فى مظروف ، وكتب عليه العنوان ، كما كتب فى
ركن منه « هام ويسلم باليد » . ومضى الى التليفون ليستدعى
ساعى يريد خاص ، ولكن الفضول غلبه على أمره ، وقرر أن يغامر
ويلتقى بذلك المليونير ليعرف ماذا يريد منه .. فترك الخطاب على
المكتب ، ومضى الى غرفة نومه حيث ارتدى ملابس الخروج ، ثم
مضى الى المطبخ حيث كانت العاملتان تقومان بتنظيفه .. وهناك
رأى أحدهما راكعة على ركبتيها تنظف الارضية بالماء والصابون ،
فلما رأته ، رفعت اليه وجها شاحبا تتطاير عليه خصلات من
شعرها الرمادى ، فقال لها :

- اننى سامضى الى الخارج ، فلا حاجة بكما للبقاء فى انتظارى .
اما انت فيمكنك ان تأتى فى الصباح قبل الثامنة

وصفق الباب وراءه ، ومضى الى مقامرته الليلة ..

ولما وصل الى مكان اللقاء ، نظر في ساعته ، فوجدها العاشرة
الا خمس دقائق ، وما هى غير لحظات حتى رأى سيارة ليومزين

كبيرة تقف بجواره ، ثم اذا بابها يفتح ، واذا صوت يقول له :

– تفضل بالركوب يامستر انجل

وركب بجوار الرجل الذى سبق أن شاهده فى دارتمور ، ثم عرف أنه المليونير سترا تفورد هارلو الذى يمتلك من المال أكثر مما يحلم به أى انسان

وبعد أن دارت السيارة حول قصر باكتهم ، مضت الى هايد بارك ، حيث ظلت تسير ببطء نحو ساعة ، كان هارلو خلالها يتحدث طيلة الوقت ، وانجل ينصت اليه كأنه فى حلم ، بسبب العروض التى يقدمها اليه المليونير

وكان آرثر انجل على أية حال يستطيع أن ينصت الى ما يقال له ، وهو متراخ فى جلسته المريحة . . أما المفتش جيمس كارلتون ، فكان أسوأ حالا وهو قابع فى حقيبة السيارة الخلفية ، وأقل حظا ، لانه لم يستطع أن يسمع كلمة من الحديث ، لان مكبر الصوت الصغير الذى تزود به ، لم يمكنه من أن يسمع شيئا

وعاد آرثر انجل الى مسكنه بعد الحادية عشرة مساء ، وكانت عاملتا النظافة قد انصرفتا . . وقد سره هذا ، لانه خشى – رغم ما يبدو عليهما من غباء – أن يلحقا وهج السعادة فى عينيه ، أو يشعرا بدبيب البهجة فى قلبه



الفصل السادس

جرمة قتل

تلقي المفتش جيمس كارلتون رسالة من ايلين ريفرز مكونة من سطر واحد ، ترجمه فيها أن يأتي لرؤيتها في فترة تناول الغداء . . فلها ذهب اليها في الموعد المحدد ، قابلته بسرور وأبتهاج وهي تقول :

- أرجو الا تفضب منى لاننى أستدعيتك لشيء قد يبدو تافها ١٠٠
- انت تعرفين يا ايلين ٠٠ معذرة ، يامس ريفرز أننى
- اوه ، انك مفتش البوليس الوحيد الذى اعرفه ، وقد أردت أن أقول لك ان المسز جيبنز لم تعد الى مسكنها الليلة الماضية والليلا التى سبقتها
- اوه . . لقد افزعتنى ! ولاشك ان زوجها يكاد يموت جزعا عليها !
- انها غير متزوجة . . انها أرملة ، وقد جاءت صاحبة مسكنها لتخبرنى بهذا الامر فى هذا الصباح ، وهى شديدة الاضطراب
- ولكن من هى المسز جيبنز هذه ؟
- انها المرأة التى اختارها خالى للعمل فى مسكنه . . وهى سيدة بائسة مهوشة الشعر ، وانى شديد القلق عليها لانها مسكينة ، ليس لها اقارب أو اصدقاء . وقد اتصلت بمسكن خالى تليفونيا اليوم ، فقال لى انها لم تأت اليه أمس صباحا ، ولا هذا اليوم ايضا
- لعلها اصيبت فى حادثة ٠٠

- لقد اتصلت تليفونيا بالمستشفيات الكبيرة ، ولكن المسؤولين فيها انكروا انهم راوها أو سمعوا بها . . وأخيرا رأيت ان الجأ

الك ، رغم انى قد اتلقى منك عبارات ساحرة او غاضبة

ولم يهتم هو كثيرا بأمر المسز جيبنز ، لان إختفاء امرأة وحيدة من على سطح الارض يعتبر ظاهرة شائعة من ظواهر الحياة فى المدن الكبيرة . ولكنه قرر ان يهتم بالامر حين رأى مدى ما كان يبدو من قلق شديد على وجه ايلين ريفرز . . ومن ثم ذهب الى شارع ستاتفورد فى حى لامبث ، حيث كانت المسز جيبنز تقيم ، وقام أولا ببعض التحريات التى علم منها ان المرأة المختفية كانت تقيم فى غرفة مأجورة مدة خمس سنوات . وقد قالت له صاحبة المسكن الذى كانت المسز جيبنز تقيم فى غرفة منه ، انها كانت امرأة امينة ، لا تشرب الخمر ، ولا تنفب عن المنزل الا ساعات عملها . . وليس لها اى اصدقاء او اقارب الا قريب واحد من بعيد كان يرسل اليها فى كل أسبوع جنيها ، بل لقد كان موعد الجنيه الاخير فى يوم الاثنين التالى . وقد كان من أهم مميزات المسز جيبنز انها كانت تدفع ايجار مسكنها بانتظام ، ولا تثير أى نوع من الشغب

وقال لها المفتش

— هل تسمحين لى بتفتيش غرفتها ؟

فكانت صاحبة المسكن أن هذا ماتريده فعلا ، ثم تقدمته الى غرفة خلفية صغيرة ، لاحظ كارلتون انها على جانب كسبر من النظافة والترتيب . ولم يكن بها غير سرير عادى ، وصوان صغير كله ادراج ، وثلاثة اثواب احداها للخروج ، معلقة فى مشجب بالقرب من السرير . . وفوق صيوان الادراج صندوق يحتوى على قبعة قديمة

وعالج المفتش ادراج الصوان حتى وجد احداها مغلقة بالمفتاح . وسرعان ما فتحه — لدهشة صاحبة المسكن — بأحد المفاتيح الكثيرة المعلقة فى سلسلة جيبه ، وفيه عشر على دفتر توفير برىدى يبلغ رصيدها فيه نحو ٢٧ جنيها ، وأربعة جنيهات مفردة ، جديدة ، وحقيبة يد قديمة قفلها مكسور . وقد وجد فى داخل الحقيبة ما يدل على رغبة المرأة — أية امرأة — فى التجميل ، اذ كانت بها مرآة ، وبعض أدوات الزينة . . الا انه تحسس بأصابعه ورقة مطوية موضوعة بين بطانة الحقيبة من الداخل : فتناول مدبته

وازال غرزة الخياطة ، واخرج الورقة المطوية ، فوجدها مكونة من
ورقتين ، ولما رأى صاحبة المسكن تحاول أن تقرأ ما ورد بهما ،
قال لها :

— هل تسمحين بالبحث عن مظروف خطاب مرسل الى المسز
جيينز .. ويكون ملقى فى صندوق القمامة ؟

ولما عادت المرأة من البحث على غير جدوى ، وجدت كارلتون
جالسا على حافة النافذة والسيجار فى فمه ، ومركزا انتباهه على
السجادة القديمة المفروشة بالفرفة ، فظنت انه عثر على قطرات
من الدماء ، ولما أحس بها ، أفاق من تفكيره وقال :

— آه .. ألم تعثرى على مظروف الخطاب ؟ اننى آسف ، لقد
وجدته فى الحقيبة

وبعد أن فتش بقية الادراج ، هبط الى مدخل البيت حيث
قالت له صاحبة المسكن :

— أرجو ألا تكون قد أغرقت نفسها يا سيدى !

— لماذا ؟ .. هل هددت بالانتحار من قبل ؟

فمسحت المرأة قطرات الدموع من عينيها ، وقالت :

— لقد كانت بائسة جدا ، لا سيما فى الأشهر الاخيرة

— ليس كل بائس ينتحر .. انها قد تظهر فجأة ، فاذا حدث

هذا ، فأرجو أن تخبرينى ، ارسلى الى برقية . وهذا هو أجرها

وكتب اسمه وعنوانه على ورقة بيضاء ، وسلمها لمن البرقية
مقدما ، بينما راحت هى تقول :

— اننى واثقة بأن فى الامر جريمة ، لقد اشترت منذ أيام قماشا

لتصنع منه ثوبا .. وهو عندى فى المطبخ ، انه لم يصل من المتجر

الا أول أمس فقط

ثم مضت مع المفتش فى الطريق الى المطبخ ، وهى تستطرد
قائلة :

— وقد جاءت ابنة أختى أمس صباحا لتساعدنا فى خياطة

الثوب ، فلما لم تأت المسز جيينز طيلة اليوم ، اضطرت ابنة أختى

للعودة الى حيث تقيم فى بيكنهام ، وهى تبعد مسافة كبيرة عن

لندن و ...

— نعم ، نعم يا سيدتى ...



وعاد المفتش كارلتون الى غرفته ، حيث راح يقرأ بامعان الاوراق التى وجدها مخبوءة فى حقيبة يد المسز جيبنز . وبعد ان كتب بعض ملاحظاته عنها ، طواها ووضعها فى مفكرة جيبه ، ثم امضى نصف ساعة فى املء مجموعة من الرسائل الى اشخاص هم آخر من يخطر ببال انسان أن لهم علاقة باختفاء الخادمة المسز جيبنز

ولم تكن ايلين تتوقع أن تراه مرة أخرى فى ذلك اليوم . ولذلك دهشت ، ولم تخل دهشتها من البهجة ، حين دخل غرفة الانتظار بالمكتب ، وارسل اليها بطاقته . وكانت فى تلك اللحظة على وشك الانصراف من عملها بعد الفراغ منه

وقالت له بعد ان خرجا الى الطريق :

— لسوف تثير الشبهات حولى يامستر كارلتون

— ما رأيك فيما لو ناديتنى باسمى الاول : جيمس ، أو جيمى ، أو جيم حسب الظروف والاحوال ؟ وبهذه المناسبة اكتشفت مطعيا آخر ممتازا فى حى سوهو . . .

— لا . . . اننى أريد العودة الى مسكنى

— كنت أرغب فقط فى الحديث معك بشأن المسز جيبنز المسكينة ...

— هل عرفت شيئا عن امر اختفائها ؟

وفى تلك اللحظة سمع كارلتون صوت أحد مرموسيه فى اسكتلانديارد ينادى عليه ، ثم يقبل اليه قائلا :

— لقد وصلتنا هذه الرسالة التليفونية عقب انصرافك مباشرة من المكتب

وكان من عادة كارلتون أن يترك لبعض مرموسيه فى الادارة بيانا تفصيليا عن خط سيره كلما غادر مكتبه . وبعد أن قرأ الرسالة التليفونية ، قال :

— لسوف أعود بعد ساعة

ولما وصل مع ايلين الى المطعم ، قال لها وهما يجلسان الى
مائدة منفردة :

- أريد أن أسالك : هل كانت المسز جيبنز فى مسكن خالك
عندما وقع حادث السرقة ؟

- لا ، لم تكن به .. أو على الأقل ، ما كان ينبغى أن تكون فيه .
وأذكر انها جاءت بعد الحادث ، لانى انا التى فتحت لها الباب ..
أتظن انها السارقة ؟

- لا .. لا طبعاً ، ولكن حدثينى بشئ عنها ، هل كانت
متعلمة أو على قسط ما من التعليم ؟

- لا .. انها أقرب ما تكون الى الامية ، لقد تلقيت منها بضع
رسائل صغيرة ، وكانت كلها لا تكاد تقرأ ، اما الاخطاء الهجائية
فكانت لاتخلو منها كلمة واحدة
وبعد برهة صمت قال :

- حسناً ! ان اختفاء امرأة وحيدة فى الحياة لن يهم أحداً ،
ولن يرسل قطرة دمع من عين أحد .. ومع هذا ، فسوف تثير
المسز جيبنز بعد ساعات - أى بعد أن يعلن ألنبأ رسمياً - اهتمام
ثمانية عشر مليوناً على الأقل من قراء الصحف ، ونحو عشرين
الف رجل من رجال البوليس لن يستريحوا لحظة حتى يعرفوا
من هو الرجل الذى قتلها ، والذى بجثتها فى مياه قناة ريجنت
فكادت ايلين تنهض عن مقعدها ، وهى تهمس فى فزع :
- قتلها ؟ !

- نعم .. لقد انتشلوا جثتها منذ لحظات ، ووجدوا عليها آثاراً
تدل على أنها ضربت على رأسها ضربة قضت عليها .. هذا ما فهمته
من الرسالة التليفونية التى قرأتها قبل وصولنا الى هذا المطعم .
فماذا كانت تفعل فى شارع ادجوير ، بريجينت بارك ؟ لقد ماتت
هناك ، ثم تحركت الجثة فى مياه القناة يومين حتى عثروا عليها
أخيراً ...

ولما أقبل خادم المطعم ، هزت الفتاة رأسها ، وقالت :

- اننى لن أستطيع أن أكل شيئاً ..

وقال كارتون للخادم :



ولما سئل آرثر انجل في مركز البوليس عن معلوماته عن المسز جيبنز ، قال انه لا يكاد يعرف عنها شيئا ، وانه في الواقع لا يعرف عنها اقل مما تعرفه ايلين ريفرز بكثير ، واختتم حديثه قائلا :

— لعلى رايتها عندما جاءت الى مسكنى لتنظيفه مع زميلتها، ولكننى ما كنت لا تعرف عليها لو رايتها مرة أخرى قبل أن تموت وثبت لرجال البوليس انه لم يبالغ في اقواله هذه ..

ولم تزدد صاحبة المسكن في اقوالها شيئا عما سبق ان قالته للمفتش جيمس كارلتون

وقد ذهب كارلتون بنفسه للحصول منها على المزيد من المعلومات ، لا سيما بشأن الخطاب الذى كان يرسل اليها بانتظام — في كل اسبوع — محتويا على مبلغ جنيه واحد

وسالها المفتش قائلا :

— ألم يصل الخطاب الاخير في موعده بعد الحادث .. اعنى بعد اختفائها ؟ !

— لا يا سيدى .. وهذا ماثير في نفسى اشد القلق

— ألم يكن من المعتاد ان يرسل اليها مسجلا !

— لا ، أبدا .. كان يأتى بالبريد العادى ، وانا أخشى ان تهيمونى باستلامه واختلاس الجنيه الذى ينطوى عليه ، ولكن يمكنكم ان تسألوا ساعى البريد في هذا الشأن

— لقد سألتناه فعلا ، وقال ان الخطاب لم يصل هذا الاسبوع . وعلى هذا يمكنك ان تطمئننى من جانبنا .. ولكن ، ألم تعرفى من أين كان يرسل اليها ؟

فأقسمت انها لا تعرف من أين كان يرسل اليها ، ثم قالت :

— لقد قام رجال البوليس في المنطقة بتفتيش غرفتها تفتيشا دقيقا ، وكنت قد اخبرتهم بالاوراق التى عثرت عليها يا سيدى مخبوءة في حقيبة يدها ، ولكنهم رغم ما بذلوا من جهد ، لم يجدوا لهذه الاوراق اثرا

وكاد كارلتون يدرك ان موقفه في هذا الشأن دقيق وخرج ،

لانه اخفى دليلا قد يكون له اهميته البالغة في التحقيق : ولم يكن امامه غير طريق واحد يتبعه ، وقد اتبعه فعلا . فلما عاد الى اسكتلانديارد ، عقد مؤتمرا سريا مع رؤساء الادارات فيه ، وصارحهم بالامر . . واعرب لهم عن شكوكه ومواطن شبهاته ، وطلب منهم الاذن باخفاء امر هذا الدليل الى حين ، وعندئذ حاول بعض الرؤساء ان يعرضوا الموضوع على النائب العام ، ولكن كارلتون استطاع ان يقنعهم بارجاء هذا الى حين . وهكذا استطاع ان يظفر بموافقتهم الاجماعية على خطته . ولما عقدت جلسة التحقيق في مقتل الميز جيبنز ، اصدر المحلفون قرارهم بان « المرأة المتوفاة وجدت ميتة دون ان يعرف احد كيف كان مصرعها » . وكان قرارا مائعا غامضا ، لان احدا ايا كان ، حتى طبيب الصحة ، لم يعرف كيف ماتت المجنى عليها



بحر الزمان

الفصل السابع

مغامرة في الليل

شعرت ايلين ريفرز بالسخط والاستياء لان المفتش كارلتون لم يحاول ان يراها مدة اسبوع كامل . وكان شعورها هذا ، يرجع الى انها بدأت تحس بوقوعها في أسر الحب . وكثيرا ما اتهمت نفسها بالجنون بسبب شعورها بحب رجل يعتبر من كبار رجال اسكتلنديارد .. فأين هي منه ؟ !

وكان هذا الشعور يخامرها - وهي واقفة ذات يوم تعرض أوراقا على رئيسها المحامي العجوز المستر ستينجر - وفي اثناء حديثه معها ، ورد اسم المليونير هارلو ، فقالت له في تردد :
- اعتقد أنك يامستر ستينجر كنت في يوم ما محاميا لاسرة هارلو الثرية .. أليس كذلك ؟

فنظر كمادته الى سقف الغرفة ، وقال :
- نعم .. نعم .. وكان ذلك منذ سنوات عديدة ، واذكر اني اقترحت يوما على المس ميرسي .. ولكن لا ..

واستدرك في حديثه لانه تذكر ان الفتاة لن تعترف من هي المس ميرسي ؟ وكان في نفس اللحظة يعجب للثراء الطائل الذي وصل اليه المليونير ستراتفورد هارلو وعاد يقول في تحفظ :

- كان العمل من أجل هذه الاسرة مسئولية ضخمة .. ولهذا لم آسف عندما اختار ستراتفورد هارلو ، في شبابه ، وكلاء آخرين ..

ولم يقل المستر ستينجر أكثر من هذا - وهو فعلا كثير - ولكن حدث ، كما يحدث عادة في هذه الاحوال ، أن عثرت ايلين على

ملف لاسرة هارلو وهى تبحث بعض المستندات الخاصة بقضية من قضايا المستر ستينجز ، وكانت بشأن قضية من قضايا الميراث يرجع تاريخها الى عام ١٩٠٢ . ولما عثرت على الملف الذى يحمل اسم المس ميسى هارلو ، لم تستطع ان تمنع فضولها من النظر فى اوراقه . وقد وجدت فى تلك الاوراق مدفوعات لسيدة تدعى المسز ل . ادوينز . منها « ١٢٥ جنيه ليد المسز ل ادوينز » . وبعد اربعة اشهر قرات عن مبلغ آخر قيمته « ١٨٣ جنيه وسبعة عشر شلن وأربعة بنسات ليد المسز ل . ادوينز » . وكانت ايلين قد عرفت ان هذه المسز ل . ادوينز مديرة بيت المستر ستراتفوردي هارلو

وعثرت على ملف آخر باسم ستراتفوردي سيلوين مورتيموهارلو ولكنها لم تجد فيه مدفوعات كثيرة ، مما جعلها تعتقد ان هارلو – فى شبابه – كان يدفع بالمال الى من يشاء مباشرة ، اى ليس عن طريق محاميه المستر ستينجز

وبعد ان اشبع ايلين فضولها من هذه الناحية ، شغلت نفسها بأعمالها العادية ، وحاولت جاهدة ان تنسى المفتش كارلتون ، وان تعتبر ان كل علاقة كانت بينها وبينه لا تزيد عن مجرد علاقة عادية عابرة

وأضت يوم السبت كله فى مسكنها ، وكذلك يوم الاحد . . وفى مساء هذا اليوم الاخير – وبعد ان يئست تملأ من احتمال زيارته لها – اذا بها تفاجأ بحضوره واعتذاره لها ، قائلاً انه كان طيلة ذلك الاسبوع فى الريف

وكانت ايلين قد استقبلته فى غرفة الاستقبال التى خصصتها صاحبة المسكن ، لكى يلتقى فيها النزلاء بضيوفهم ، وقد قال لها كارلتون :

– الا يمكن ان نخرج الآن ؟ هل تناولت عشاءك ؟

– نعم . .

– اذن هلم نتمشى معا . . ان الجو لطيف ، ويمكننا ان نشرب القهوة فى اى مكان

وخطر لها ان تصارحه قائلة انه يعاملها بلا كلفة ، اكثر مما

ينبى بين اثنين لا يربطهما شيء متين ، ولكنها لم تستطع
وفى الطريق ، أثناء سيرهما فى شارع ملويسرى ، قال لها :

— اننى شديد القلق بشأنك

— احقا ؟ ! . لماذا ؟

— لانى أخشى أن تكون المسز جيبنز قد تعودت أن تفضى اليك
بأسرارها !

— وماذا يقلقك فى هذا الشأن ؟ لقد كانت أحيانا تفضى بادات
نفسها الى ..

— هل قالت لك شيئا عن ماضيها ؟

فقالت ايلين بسرعة :

— لا .. لقد كان معظم حديثها يدور حول أمها التى ماتت منذ
أربعة أعوام

— هل ذكرت لك اسم أمها المجرى !

— قالت ان اسم أمها هو لويزا .. ولكن ماعلاقة هذا كله بمقتل
المسكينة المسز جيبنز

— لا شيء أكثر من أن المسز جيبنز اسمها آنى مود ، وأن
الخطابات الأسبوعية التى كانت تصلها بانتظام ، وفى داخل كل
منها مبلغ جنيه ، كانت ترسل باسم « لويزا — ١٤ شارع كنيت
برمنجهام » ثم يعاد إرسالها عن طريق مكتب البريد الى المسز
جيبنز . وقد وصل آخر خطاب اليوم

— يا للمسكينة ..

— نعم .. ولكن هل تذكرين ما قلته لك عن العشرين ألف رجل
من رجال البوليس الذين لن يستريحوا بسبب مقتل المسز
جيبنز ! حسنا ، ان هؤلاء العشرين ألفا شديدو الانفعال جدا
لان أم المسز جيبنز تسمى لويزا . وما كان ينبى أن أسألك
لانى كنت أعرف هذا .. وقد اثبتت هذه الحقيقة امرين : الاول
أن المسز جيبنز ارتكبت جريمة منذ خمسة عشر عاما ، وثانيا
هذه هى المرة الثانية التى تموت فيها هذه المرأة

ثم تراخى فى مقعده ، وضحك قهقري

— قد أبدو امامك كطل من أبطال الروايات البوليسية

الرخيصة . والواقع أن الامور في الوقت الحاضر متشابكة ، ومعقدة
أشد التعقيد .. هل تطلبين قهوة أو عشاء ؟
— قهوة ..

وكان المطعم الذى جلسا فيه مزدحما أشد الازدحام ، ومن ثم
بادرا الى الانصراف منه عقب تناولهما القهوة ، ثم سارا جنباً الى
جنب حتى بلغا شارع كوفنترى ، وهناك مرت بهما سيارة
« كويبة » فاخرة ، كانت تسير ببطء .. وقد رأيا معا الازرار
الماسية اللامعة التى تزين صديرية قائدتها ، عدا الطرف الاحمر
المتوهج من سجاره الكبير
وقال كارلتون :

— ترى ماذا يفعل المليونير هارلو فى هذا المكان من المدينة فى مثل
هذه الساعة ؟

وانحرفت السيارة يمينا نحو ميدان ليستر ، ومنه الى
شارع اورنج ، بسرعة ملكية بطيئة ، وكأنما هى تسير فى موكب
فاخر !

وسار الاثنان — وقد أمسك كارلتون بيد ايلين — حتى بلغا
شارع لونج أكر ، وكان هادئا موحشا فى تلك الساعة من الليل ،
ومن ثم تجرا وقال لها :

— اننى أشعر نحوك يا ايلين بشعور .. خاص .. بشعور ..
اننى ارجو الا تسخرى منى كما فعلت فى المرة السابقة ، والا فلن
اغفر لك أبدا

وفجأة برز ثلاثة رجال من شارع جانبي وهم يصخبون
ويتجادلون بعنف ، ويقتربون فى الوقت نفسه حثيثا من كارلتون
وايلين .. وتلفت المفتش حوله فى قلق ، فلم يجد احدا على طول
الشارع يمكن أن يستعين به فى نزال هؤلاء المتربعين المتحفزين
لنزاله ، وأخيرا قال للفتاة هامسا :

— أريد منك أن تنطلقي الان الى نهاية هذا الطريق ، ثم تأتى
ومعك احد رجال الشرطة .. أسرعى قبل أن يداهمونا

واندفعت تجرى طائفة الى الطرف الاخر من الطريق فى نفس
الوقت الذى اندفع فيه احد الرجال الثلاثة نحو كارلتون وهو
يقول :

— ماذا تريد منا ؟ الا يمكن لثلاثة مواطنين ان يتعاركوا دون تدخل منكم ؟

فقال له كارلتون :

— قف مكانك يادونافان ، فانا اعرفك ، واعرف ماتريد !

وصاح احدهم بغضب :

— لنهجم جميعا عليه ..

وكان جيمس كارلتون قد اخرج من جيب سترته في تلك اللحظة السوط الصغير الذى يبلغ طوله نحو اربعين سنتيمترا ، وينتهى طرفه بكرة من المعدن .. وبهذا السوط ضرب اقرب رجل اليه وجعله يسقط على الارض بلا حراك . ووثب الرجل الثانى على المفتش ، وكان هذا يعلم انه يدافع في تلك اللحظة عن حياته .. او على الاقل ، لينجو من اصابة قد تجعله طريق الفراش بضعة اشهر ..

وهوى طرف السوط مرة اخرى واصاب الرجل الثانى ، وجعله يدور حول نفسه ، ثم يهوى على الارض ، وكانت سيارة مأجورة في تلك اللحظة تنهب ارض الشارع .. وعلى سلم كل جانب منها احد رجال الشرطة

وقال المفتش لهما :

— لا تحملوهم الى مركز البوليس في شارع بو ، وانما الى مركز منطقة كانون رو

وكانت الدموع تتألق في عيني ايلين من فرط الانفعال ، عندما قال لها كارلتون وهو يعود بها الى مسكنها في سيارة مأجورة :

— لقد ادركت انهم يدبرون الهجوم على حينما اخذوا يدبرون بينهم هذه المشاجرة المصطنعة .. انها من اقدم الحيل المعروفة بين المجرمين ..

— ولكن لماذا ؟ .. هل هم اعداؤك ؟

فقال ببطء ليتجنب الاجابة على سؤالها الاول :

— واحد منهم على الاقل من الد اعدائى .. انه يدعى دونافان وكان كارلتون يدرك في قرارة نفسه ان ظهور المليونير هارلو بالقرب من مسرح الحادث لم يكن مصادفة ، وان سيارته التى

سارت في شارع اورانج ، كان في مقدورها ببساطة أن تقوم بدورة قصيرة ، وتصل الى شارع لونج اكر عن طريق حارة سانت مارتن، قبل وصولهما اليه . ولكن اهم مافي الامر ، هو ان جيمس أدرك انه موضوع مع الفتاة تحت مراقبة دائمة ، وانهما كانا متبوعين في تلك الليلة منذ اللحظة التي غادر فيها سكنه بالنادى حتى وقوع الحادث

ولم يكن من العسير عليه أن يعرف سر الهجوم عليه .. ومن ثم فقد ابتسم لنفسه ، وهو يعود الى اسكتلانديارد بعد ان سحب ايلين الى باب مسكنها . وهناك ، على مكتبه ، وجد البرقية التالية في انتظاره من ادارة المباحث بمدينة برمنجهام : « المسز لويزا جيبنز ماتت في ١٨ فبراير سنة ١٩٢١ . الخطاب الاسبوعى الذى كان يصلها بانتظام ، والذي أصبح يحول الى المسز جيبنز المقيمة بشارع ستاتمور بحى لاميث ، كان يحمل طابع بريد نوروود » . وقد أكدت هذه الحقيقة صاحبة السكن الذى كانت تستأجر المسز جيبنز المتوفاة غرفة فيه في هذه المدينة . اما الاسم الحقيقى لمسز جيبنز التى كانت في حى لاميث فهو آنى مود سميث ، وكانت قد تزوجت عاملا يدعى جيمس سميث ، يشتغل بشركة سكة حديد بورلاند ، وتم الزواج في ٣ مارس عام ١٩١٠ ، وقد قتل الزوج اثناء الحرب العالمية في الخامس من شهر يوليو عام ١٩١٥ » . وكان الجانب الاكبر من هذه المعلومات معروفا للمفتش كارلتون ، الا ان اهم ماورد في البرقية هو بريد نوروود الذى كان الخطاب يصدر منه .. وذلك لان نوروود هى الضاحية التى يقيم فيها المحامى ألنبرى

ولكن كارلتون رأى أن يركز اهتمامه أولا على آرثر انجل الذى اعتزل الناس فجأة ، وأصبح يشغل كل وقته في شؤون السينما



وشغل كارلتون في الايام القليلة التالية بحيث لم يستطع مقابلة ايلين ، ولكن هذه وجدت نفسها مضطرة لان تطلب مقابله لكى تشكو اليه من تصرفات شاب استأجر الغرفة الواقعة تحت غرفتها مباشرة ، وقد قالت لكارلتون :

— ماكان ليهمنى امره وهو يتبعنى كل يوم من بعيد ، منذ ان اخرج من مسكنى حتى اصل الى عملى ، ولكن الخطير فى الامر انى اراه ينتظرنى عندما اخرج فى ساعة الغداء ، ثم عندما انصرف فى المساء

فقال جيمس باهتمام :

— هل حاول ان يتحدث اليك ؟

— لا ، ابدا .. انه مهذب جدا ، بل انه لم يحاول حتى ان يحيينى تحية عابرة

فقمز كارلتون بعينيه ، وقال باسم :

— عليك ان تتحمله .. فهذه ضريبة متواضعة تدفعها كل فتاة جميلة

وقابل جيمس كارلتون الشاب المعجب بالفتاة ، وقال له :

— يبدو انك اسرفت فى رقابتك للفتاة يابراون .. يحسن ان تبحث عن طريقة لمراقبتها دون ان تشعرها بذلك

فقال ضابط المباحث براون :

— اننى آسف ..

ومنذ ذلك الحين لم تعد ايلين ترى « المعجب الجديد » وهو يتبعها فى روحاتها وغدواتها ..

ورغم كل ما بذله كارلتون من جهود ليعثر على آرثر انجل خارج مسكنه ، فقد باءت هذه الجهود كلها بالفشل . وفى ذات ليلة ، بينما كان يسير مع زميله المفتش الك فى الحارة الضيقة الواقعة وراء عمارة فوثرنجواى مانسيونز ، رفع رأسه الى أعلى حيث لمح ضوءا ابيض وراء ستائر نافذة فى مسكن آرثر انجل . وكان من السهل الاستدلال على مكان هذا المسكن بالذات من العمارة ، بسبب وجود هذا النتوء الدائرى حول الجدران من الخارج الذى يدل على مدى ارتفاع الطوابق . وكانت غرفة النوم القديمة التى ظهر فيها النور ، تبعد عن سلم النجاة من الحرائق بنحو اربع توافذ

وأدرك الك مايدور بذهن صاحبه ، فقال محتجا :

— لو شعر الرجل بنا لاثار تائرة النيابة علينا

— هذه هى الطريقة الوحيدة لنعرف ماذا يدور فى مسكنه ..
ان بواب البيت يقول انه لم ير آرثر انجل يدخل او يخرج ، وان
احد معارفه جاء منذ نصف ساعة وطرق على الباب ، فلم يفتح له
احد .. وبسك البواب فى ان آرثر يضيع كل وقته داخل المسكن
فى مشاهدة الافلام السينمائية الخاصة لانه رأى احد موزعى هذه
الافلام يسلم آرثر صندوقا اسود اللون من النوع الذى تحفظ
فيه بكرات الافلام

فهز الك راسه فى عجب ، وقال :

— وماذا يهدف الرجل من هذا العمل ؟

— هذا ما أريد ان اعرف !

وبدا كارلتون فى تسلق سلم النجاة من الحريق ، ومن ورائه
المفتش الك ، حتى امسيا فى محاذاة الطابق الذى يقع فيه مسكن
آرثر انجل ، وطلب كارلتون من زميله ان يبقى فى انتظاره حتى
يعود اليه . وسار هو فى التواء البارز من الجدار خريصا على حفظ
توازنه ، وظل يتقدم خطوة بعد أخرى وهو يدرك تماما ان اقل
تعثر سوف يهوى به فى مسقط النور .. ولكنه لم يكن يخشى على
نفسه من فقدان التوازن ، وانما كان يخشى ان ينهار جزء من التواء
تحت قدميه فجأة قبل ان يتعلق بشئ

ولكنه استطاع اخيرا ان يصل الى نافذة غرفة نوم آرثر انجل
القديمة التى كان الضوء الابيض ينبعث من بين فرجات الستائر
المثبتة بها . واختلس كارلتون النظر من وراء زجاج النافذة الى
الغرفة ، فرأى آرثر انجل يدير مقبض آلة العرض السينمائي ،
ويحديق النظر فى مناظر الشريط المعروضة امامه ، ولكن كارلتون
لم يستطع — وهو فى مكانه — ان يرى تلك المناظر ، الا انه لاحظ ان
آرثر انجل لم يحلق ذقنه منذ ايام

ولما حاول — على غير جدوى — ان يرى المزيد مما يجرى فى الغرفة،
بدأ فى طريق العودة الى سلم الحريق . ولكنه فوجيء — قبل ان
يصل اليه — بجزء من التواء البارز يتخلخل تحت قدميه ، فأسرع
وتعلق بحافة اقرب نافذه اليه ، وتناول بيعته ووضع قبضة يده
بداخلها وحطم بها زجاج النافذة فى الوقت الذى انهار فيه جزء من

النساء تحت قدميه ، وجلس هو والمفتش الك أنفاسهما يرهة ، ولكن صوت الجزء النهار لم يلفت سمع أحد ، ولم يلبث المفتش كارلتون أن حمل نفسه بقوة ساعديه ، ومد يده من خلال زجاج النافذة المحطم وفتح مصراع النافذة من الداخل ، ثم تسلل الى الغرفة ، وهو يتوقع في أية لحظة أن يسقط فيها النور ، ويواجه صاحب السكن بمسدس في يده . ولكن لشدة ما كانت دهشته حين وجد السكن مخيما على المكان ، فراح يسير على أطراف أصابعه وهو يمد يديه ليتحسس ما قد يكون أمامه حتى لا يتعثر فيه . ولما عثرت أصابعه على مفتاح الضوء ، أداره . . فوجد ، على الضوء الساطع ، انه في غرفة نوم صغيرة يعلو الغبار الكثير كل شيء فيها مما يدل على انها مهجورة منذ أيام أو أسابيع . ومع ذلك فقد كانت رائعة الاثاث ، متناسقة الطراز ، متناسبة مع بقية قطع الاثاث الموجودة في مسكن آرثر انجل . . ومن ثم أدرك كارلتون أنه في مسكن انجل ، وأن هذه الغرفة لم يسبق له أن رآها في المرة السابقة

وفتح الباب بحذر . . فوجد قاعة الطعام غارقة في الظلام ، كما سمع أزيز آلة العرض السينمائي ينساب من غرفة النوم القديمة ترى هل يغامر بكشف أمره ويرضى فضوله ؟ . . وقبل أن يستقر على رأى في هذا الشأن ، صلصل جرس التليفون بصوت حاد في قاعة الطعام ، فراجع بسرعة الى غرفة النوم الصغيرة المهيمة ، واطفا نورها وأغلق بابها عليه ، وعندئذ سمع آرثر وهو يخرج الى قاعة الطعام ، ثم وهو يقول للمتحدث في التليفون :

— نعم ! جاكسون ! هذا انت ؟ . . أرجو أن تكون متحدثا من تليفون عام ! حسنا نعم . . ان كل شيء كما ينبغي . نعم . . سمعته ، ولكن في الراديو فقط ، ان على أن احضر الاجتماع ، اهو خطيب بليغ ؟ وكذلك انا . . اتنى اسحر الناس عندما أخطب . يمكنك أن تضحك اذا شئت ، ولكنني ظفرت يوما بهاتف أربعة آلاف شخص لمدة دقيقتين ، لا تقلق . . لا ، شكرا ، أن لدى من المال ما يكفي

وسمع كارلتون صوت المسماع ، وهو يوضع على الحامل التليفوني ، ثم غال لنفسه في شبهة سخيفة :

- خطيب ساحر؟! ترى من هذا الذى يمكن ان تسحره خطابة
آرثر انجل؟

ولما سمع ازين آلة العرض السينمائى مرة اخرى ، خرج
كارلتون الى قاعة الطعام على اطراف اصابعه ، واستبد به الفضول
لحظة لاختلاس النظر الى ما يدور فى غرفة آرثر انجل . ولكنه فكر
- فى جزع - فيما قد يتعرض له من محاكمة تأديبية اذا انكشف
امره . ومن ثم اكتفى بأن وجه ضوء مصباحه الكهربائى الصغير
الى سطح قاعة الطعام فرأى عليها مطروفا يحمل اسم « شركة
كونراد » وكان لم يفتح بعد. ولكن كارلتون لم يكن بحاجة لان يفتحه
. . اذا عرف - او استنتج - ان آرثر انجل يفكر فى السفر الى
الولايات المتحدة - او الى كندا

ولما توقف ازين آلة العرض مرة اخرى ، أسرع كارلتون بمغادرة
المسكن ، واغلق الباب وراءه برفق . . ثم هبط بواسطة المصعد ،
وأسرع الى المفتش الك الذى قال له وهما فى الطريق الى النادى :

يبدو انك دخلت مسكن آرثر انجل . .

- نعم . .

- على أى انواع الافلام كان يتفرج ذلك الرجل ؟

- تمنيت لو اعرف !

ثم اخبر كارلتون زميله الك بأمر المحادثة التليفونية التى سمعها
فى مسكن آرثر انجل ، فقال الك :

- اننى لا ادرى هلم يعتنق آرثر مذهب الحمر لانه فوضى الطباع،
او غدا فوضويا بعد ان اعتنق مذهب الحمر ؟ والحقيقة انه يبدو
لى وصوليا لا اكثر ، فان معظم هؤلاء الحمر يعتقدون ان اعتنائهم
بلئله هذا المذهب سيؤدى بهم الى مقاعد الحكم فورا . حسنا . .
حسنا . . ما رأيك فى موقف آرثر انجل ؟ . . اعنى فيما يهدف اليه؟
- اعتقد انه ينوى القيام بمغامرة مالية فى اسواق البيرة ليظهر
بمبالغ طائلة . . .

وعندما وصلا الى مدخل النادى ، أسرع البواب الى المفتش
كارلتون ، وقال له :

- ان شخصا ما على التليفون يا سيدى ، ويقول انه أحد حراس

حديقة ريجنت بارك ، وأله وجد المكان الذى يعتقد أن جنة المسز جيبنز القيت منه فى القناة .. ان الاتصال التليفونى مستمر ، وهو يقترح ان تقابله امام مبنى جمعية تربية الحيوانات - حسنا .. قل له اننى فى الطريق اليه

وأصر الك على ان يعضى مع صاحبه ، وهو يقول مستنكرا :
- اننى لا ادرى كيف يستطيع هواة الابحاث الجنائية أن يهتدوا فى ظلمات الليل الى مكان ، ظل رجال المباحث المحترفون يبحثون عنه بلا جدوى فى ضوء النهار !
ثم أردف قائلا وهو يتخذ مكانه بجانب صاحبه فى السيارة المأجورة :

- المرة التالية سيدلوننا على الثغرة فى مياه القناة التى سقطت فيها الجثة !

فابتسم جيمس كارلتون ، وقال :
- ان سطح القناة يتجمد .. وهذا يعنى ان ما تقوله ساخرا ، محتمل جدا .. وان شئت الحقيقة ، فقد تجمد سطح القناة بعد يوم العنور على الجثة

ولم يكن الذى انتظرهم فى الحديقة أحدا حراسها ، وانما أحد ضباط المباحث الجنائية . وقد قال لهم ان أحد الحراس اكتشف المكان فعلا فى الظهيرة ، ولكنه لم يبلغ النبأ الى البوليس الا مساء . وبعد ان اتخذ مجلسه بجانبهم ، انطلقت السيارة المأجورة الى المكان الذى يقوم فيه كوبرى صغير فوق مياه القناة ويؤدى الى شارع افنيورود . وفى هذه المنطقة كان الشارع يفصل عن القناة بشريط من الارض المزروعة بالاشجار والحشائش ، عرضها نحو خمسين قدما . وكان هذا الشريط الاخضر يستخدم فى الصيف ملعبا للاطفال .. ولذلك وضع على طول حافة القناة سياج من القضبان الخشبية تتخللها شبكة من الاسلاك . والوصول الى هذا الملعب يكون عن طريق بوابة حديدية فى محاذاة الكوبرى ، وهى تغلق مساء . وقد قال ضابط المباحث فى هذا الشأن :

- وفى بعض الاحيان تبقى هذه البوابة مفتوحة مساء .. واذكر ان شخصا ما ابلغنا ان البوابة كانت مفتوحة صباح اليوم التالى لاختفاء المرأة

وسار امام المفتشين بحذر على الارض المنحدرة نحو القناة ، وهو يستطرد قائلا :

— وكان على أحد الحراس بعد ظهر اليوم أن يخصص السياج الخشبي .. فوجد أحد القضبان منتزعا من مكانه ، ولكن الشخص المجهول الذى انتزعه ، اعاده الى مكانه بطريقة تجعله يبدو للناظر وكأنه لم ينتزع

ولما وصلوا الى مكان القضيب الخشبي المنتزع ، قال ضابط المباحث وهو يوجه ضوء مصباحه الكهربائي القوى نحو السياج :

— وظن الحارس أن بعض الاطفال هم الذين انتزعوا القضيب ، لولا انه عثر على القبعة ..

— اية قبعة ؟

— لقد تركتها لتراها في نفس الموضع الذى عثر عليها الحارس فيه

وكانت قبعة قاتمة اللون .. ممزقة الحافة ، ملوثة بالطين ، وكان الواضح انها انتزعت من فوق رأس صاحبها اثناء عراك أو مقاومة شديدة . وقال ضابط المباحث مشيرا الى الارض :

— وهذه آثار اقدام .. احداها قدم كانت ترتدى حذاء نسائيا له كعب رفيع ، واخرى ترتدى حذاء من المطاط عريضة النعل

وقال المفتش الك ، بعد ان فحص لآثار الاقدام بدقة :

— لقد وقعت هنا معركة بين شخصين ، رجل وامرأة .. انظروا الى الاوضاع الجانبية لكعب الحذاء النسوى و ...

وهنا هتف كارلتون في حدة :

— ما هذا ؟!

وكان ضوء المصباح الكهربائي قد تركز على حفرة متجمدة في الارض يبدو من جانبها قصاصة ورق .. وسرعان ما ركع كارلتون ، وتناول مديته ، وراح يزيع طبقة الجليد من الحفرة ، ويستخلص الورقة المدفونة تحتها . وكان الواضح انها سقطت من شخص ما ، وداس عليها المرأة بكعب حذائها فطمرتها في الارض التى لم يلبث الجليد ان كساها بعد ذلك ..

وبعد أن أزال كارلتون الاو حال والاوزار عن الورقة ، ظهر انها خطاب مغلّق كتب في طرفه الاعلى « هام ويكلم باليد » وتحت هذه الملاحظة عنوان لم يظهر منه غير كلمة « هارلو »

وحمل كارلتون والك الخطاب المغلق الى كبير المفتشين في اسكتلانديارد ، وهناك فتح المظروف ، فاذا بداخله الخطاب التالى :
« عزيزى المستر هارلو :

اننى الان - بعد خروجى من السجن - تحت المراقبة ، اى فى حالة لا تسمح لى بالقيام بأى عمل قد يعيدنى الى السجن . واقول ، بصراحة ، اننى أخشى أن يكون فى لقائنا الليلة شرك منصوب للايقاع بى واعادتى الى السجن ، كما أخشى أن يكون رجال البوليس هم الذين ينصبون لى هذا الشرك . ولهذا لا أستطيع أن أقابلك حتى اعرف على وجه التحديد ماذا تريد منى ، او - على الاقل - حتى تسلمنى اعترافا كتابيا بانك انت الذى اردت مقابلتى فى موعد محدد ومكان معين

المختص

آرثر انجل «

ونظر الك فى دهشة الى كارلتون ، وقال :

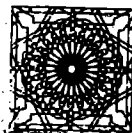
- هذا أعجب شىء ! ما رأيك فى هذا ؟

فقال كارلتون مفكرا :

- الواضح أن هارلو طلب مقابلة آرثر انجل ، وكنت اعرف هذه الحقيقة فعلا . وقد وعد انجل أن يذهب للمقابلة ، ولكنه عاد فعدل ثم كتب هذا الخطاب الذى لم يفتحه هارلو كما هو واضح ، والذى لم يصله أيضا قبل المقابلة . . ذلك لاني أعرف - ويشهد على ذلك البرد الذى أصابنى - أن هذه المقابلة تمت أمام ساحة الحرس الملكى فى هايد بارك ، وأن الاثنين مضيا فى نزهة بالسيارة لمدة ساعة . فاذا كان لهارلو علاقة بمقتل هذه المرأة البائسة ، فهل يعقل أن يترك وراءه هذا الخطاب ليبدل عليه ؟!

وفيما هو يتصرف من مكتب كبير المفتشين ، اذا به يتوقف خارج المكتب ، ويقول فجأة لالك :

– لقد فهمت الامر كله .. او على الاقل ، فهمت شيئاً له
اهميته ، وهو ان المسز جيبنز كانت تحب زوجها ويليام سميث
العامل بالسكة الحديد ، أشد الحب ..
فحملك لك في وجه كارلتون ، وقال :
– انك تهذى !



الفصل الثامن

إيلين في قصر المليونير

لم تحاول إيلين أن تتصل بقرينها آرثر انجل بعد خروجه من السجن .. وإذا كانت تناديه بكلمة « خالي » إلا أنه في الواقع لم يكن خالها مباشرة ، وإنما كان زوجا لسيدة هي ابنة عم أمها .. غير أنها لم تحاول أن توضح هذه الحقيقة لأحد ، حتى ولا للمفتش كارلتون ، خشية أن يقال أنها تتبرأ منه ..

ولكنها اضطرت ذات يوم إلى الاتصال بليفونيا بخالها هذا ، المدعو آرثر انجل .. فلما رد عليها ، قالت :

– ان الشركة التي تولت إعادة تجميل مسكنك أرسلت فواتيرها إلى ..

فقاطعها قائلا :

– يمكنك تحويل هذه الفواتير إلى ، وسوف أسوى الأمر مع الشركة رأسا ..

– ولكنني لست واثقة بأن كل ماورد في هذه الفواتير صحيح ..

– لا يهم .. أرسلني بها إلى .. طاب صباحك

وأعادت السماع إلى موضعه ، وهي تبسم .. وقد شعرت بالارتياح لأنها أنهت هذا الموضوع بليفونيا ، أي دون أن تضطر إلى القيام بزيارته

ومرة أخرى أحست بالرضا التام لأنه لا توجد في عروقتها قطرة دم واحدة مشتركة بينها وبين هذا الذي تدعوه أمام الناس خالها

وفي ذلك الصباح ، ابتهجت بزيارته أخرى من المفتش كارلتون الذي جاء ليسألها عن كل ما كانت تعرفه عن المسز جيبنز : عن طباعها ، ونزواتها ، وكفاءتها في العمل ، ومدى استحابتها لآداء

الواجبات المفروضة عليها . ولما اجابت على كل سؤال ، قالت في النهاية :

— اننى لن أسألك لماذا تريد أن تعرف هذا كله عن المسز جيبنز .
لانى واثقة أن لديك الاسباب التى تبرر هذه الاسئلة .. غير اننى ظننت انكم فرغتم من امرها !
فهز رأسه قائلا :

— اننا لا نفرغ من جريمة قتل حتى نقبض على القاتل
فارتعدت وقالت :

— اذن فالامر جريمة قتل ؟! ..
— هذا رأيي ، وان لم يكن رأى الك .. بل ان الاطباء الذين
حضرُوا التحقيق لا يوافقونى ..
وبعد فترة اخرى وجيزة ، انصرف المفتش كارلتون ، تاركا
الفئة تقوم فى مسكنها ببعض الاعمال الاضافية الخاصة بمكتبها



وعندما كانت تتأهب فى مساء اليوم التالى لمفادرة المكتب ، اقبل
عليها رئيسها المستر ستينجيز ، فعادت تتأهب للعمل .. ولكنه
قال :

— لا .. لا .. اننى فى طريقى الى الخروج ، ولكن لى رجاء قد
يبدو عجيبا ، وقد يبدو طبيعيا الى اقصى حد . ان عميلا لى من
عملائى القدامى ، مرضت سكرتيرته الخاصة اليوم فجأة ، ويريد
أن يعلى بضع رسائل سرية خاصة .. فهل يمكن أن تذهبي اليه
بعد طعام العشاء وان تكتبى له هذه الرسائل ؟!

فقالت ايلين وهى مندهشة من بساطة الرجاء :

— طبعا .. طبعا .. بكل تأكيد يا مستر ستينجيز ..
— الحقيقة انه لم يعد عميلا لى ، كما اظن انى قلت لك هذا من
قبل ، بل ولا أتمنى أن يكون عميلى يوما ...

فهنفت ايلين بأنفاس لاهثة :

— هل هو المستر هارلو ؟

— نعم المستر هارلو ، فى قصره رقم ٧٠٤ فى بارك لين .. هل
لديك مانع ؟

فقالت وهى تقاوم بكل قواها الرغبة فى الرفض :

- لا .. ليس لدى اى مانع ، سأذهب طبعاً

وعاد المستر ستيبنجز يقول وهو يرفع عينيه الى سقف الغرفة كالعتاد :

- طلب أن يكون حضورك فى الساعة التاسعة مساءً ، لانه حتى ذلك الحين سيكون مشغولاً بمأدبة عشاء سيقمها لبعض الشخصيات .. وقد طلب منى أن تؤكد عليك بكتمان السر ..

- اى سر ؟!

- سر ما سيدكره لك فى الرسائل أو سر ذهابك اليه .. قلعله لا يريد أن يعلم احد ان لديه خطاباً هاماً استلزم ، لكتابته بسرعة ، احضار كاتبة خاصة من خارج قصره .. وقد اكدت له بطبيعة الحال أن فى مقدوره الثقة فى حرصك على كتمان اسرار العملاء .. شكراً لك

وخطر ببال ايلين ان تخبر كارلتون بهذا الامر ، ولكنها رأت فى النهاية أن الامر ليس من الخطورة بحيث يستدعى الاستعانة بخدمات مفتش بوليس من اسكتلانديارد .. ذلك ان الامر لم يكن أكثر من حاجة مليونير معروف الى سكرتيرة خاصة لمدة ساعة أو ساعتين ، وقد طلبها من احد وكلائه القانونيين القدامى

وفى تمام الساعة التاسعة مساءً كانت تدق جرس الباب الخارجى لقصر المليونير

انها لم تكن رأت منذ زارها فى مسكن آرثر انجل .. وحين مر بسيارته « الكوييه » وهى سائرة مع كارلتون ، لم يره سوى كارلتون

وكانت ايلين مشوقة لتعرف هل ستشعر بذلك الاحساس من الروع والرهبة الذى خامرها حين رأتة فى مسكن آرثر انجل ، أو ان ذلك الاحساس كان مؤقتاً واقترب الى الوهم منه الى الحقيقة ؟ ولم تتوقع أن يفتح لها المليونير هارلو الباب بنفسه .. ولكنها فوجئت به يفتح الباب وهو فى ملابس السهرة الرسمية الانيقة ، وقد فوجئت أيضاً بأن ذلك الشعور العنيف من الروع الذى كان يخامرها كلما واجهته ، لم يعد له اثر فى تلك اللحظة ..

وفيما هي تتقدم نحو قاعة المكتبة ، كادت قدمها أن تنزلق على الأرضية الخشبية الملساء .. لولا أن يادر الى الامساك بها ، وقد لمحت في عينيه نظرة خوف شديد لم تستطع أن تفسرها .. وقد قال في حلق :

— ان هذه الأرضية رهيبة .. لقد طلبت من محلات هيران ارسال مجموعة من السجاجيد لتغطيتها كلها ...
ثم اردف قائلاً بلهجة عملية ، حين دعاها للجلوس الى المكتب الصغير بجوار المدفأة :

— ان لدى خطابا هاما اريد كتابته ، وانا اسوا الناس في كتابة الخطابات ، لان الاملاء اصبح عادة من العسير ان اقلع عنها ..
واعدت ايلين نفسها للكتابة على الورق الانيق الموضوع امامها ..
وبعد ان ذكر لها الاسم والعنوان « الكولونيل هارى ماير و بشارع والستريت رقم ٩٠٠٣ بنيويورك »
راح يملأ الخطاب التالي :

« .. لقد استقرت الاحوال الاوروبية ، وهناك ما يبشر بنشاط في سوق الاوراق المالية خلال الاشهر القليلة التالية . وانا — من ناحيتي — لا اصدق ابدا ان « مشكلة بون » سيكون لها اية آثار سيئة في العلاقة بيننا وبين فرنسا .. »

وتذكرت ايلين انها قرأت في الصحف عن « مشكلة بون » ، وهي مشكلة نشأت بسبب مبارزة وقعت بين ضابط فرنسي وآخر انجليزى في مدينة بون ، وقد بلغ من تفاهة هذه المشكلة من الناحية الدولية ان اعضاء البرلمان الانجليزى راحوا يصفرون ويستخرون من زميل لهم حاول ان يوجه بشأنها سؤالا الى السير جوزيف ليتون وزير الخارجية ، ومن ثم فقد دهشت ايلين وهي ترى المليونير هارلو يشير الى هذه « المشكلة » في خطابه الهام !

وبعد ان فرغ من املاء الخطاب ، طلب منها ان تعيد قراءته عليه .. فلما فعلت اعرب لها عن تقديره لكفاءتها ، ثم طلب منها ان تكتب صورتين عدا الاصل ، وقال وهو بهم بالانصراف :

— سوف تجددين ما يلزمك من اوراق في الدرج الاعلى من اليمين .. وأرجو ان تنتظرينى بعد ان تفرغى من الكتابة ، لن اغيب اكثر

من عشرين دقيقة

وفرغت من عملها بعد انصرافه بلحظات ، وجلست تستريح وتأمل اثاث الغرفة الرائع ، وستائر الفاخرة ، والوان النرف الواضحة في كل جزء منها .. ومرت بنظرانها على المدفأة القريبة منها ، فرأت قصاصة ورق مكمشة وافعة امامها ، يدل مظهرها على أن شخصا ما اراد القاءها في نيران المدفأة ، ولكن الورقة سقطت على الارضية امامها ، وتفتحت قليلا مما جعل ايلين تتبين فيها بوضوح كلمة « مارلينج »

ولم تستطع ايلين أن تسيطر على فضولها .. فانحنت و التقطت الورقة وبسطتها ، وقرأت فيها ما يلي : « اننى اريد أدوات الكتابة ، ارجوك أن تأتى بها الى ، والا كيف ساكتب ملاحظاتي التاريخية ؟ مارلينج »

وسمعت مقبض الباب يتحرك ، فأسرعت ودست الورقة في حقيبة يدها الموضوعه امامها في نفس اللحظة التى دخلت فيها المسز أدوينز العجوز بقامتها النحيلة المشدودة وعينيها المتوقدتين وقالت العجوز ، وهى تفحص الفتاة بعينيها :
- اذن فأنت المس ...

- ايلين ريفرز ..

- وأنا لوسى أدواردز ، أو المسز أدوينز ، مديرة بيت المستر هارلو

وغمغمت ايلين بعبارات التحية . وبعد حديث قصير ، انصرفت المرأة العجوز وهى تدير عينيها في جوانب الغرفة كأنها تتأكد ان كل شئ فى موضعه

ولم تدر ايلين ماذا تفعل بالورقة .. ولكنها بررت موقفها - القائم على الفضول السوقي - بأنها ستسلم هذه الورقة للمفتش كارلنون ، عسى ان يكون لها فائدة في تحقيقاته

وفيما هى تفكر فى سلامة هذا التبرير ، أقبل المستر هارلو ، وقال بعد ان كرر لها الشكر ، وبعد ان أعرب لها عن المزيد من تقديره لكفاءتها :

- اننى لا تسأل : هل تعرفين لماذا أرسلت فى طلبك ؟

ففوجئت بهذا السؤال ، بينما أردف هو قائلا بابتسامة :
- الواقع اننى لم أستدعك لكتابة شيء .. ان مسألة الخطاب هذه مجرد ستار لرغبتى فى الحديث معك قليلا . وأؤكد لك بهذه المناسبة اننى اعجبت بك أشد الإعجاب ، حين رأيتك تقبلين بلا خوف أو تردد .. فلو أحسست أنك خائفة منى لحظة واحدة لفتحت لك الباب وسمحت لك بالانصراف ..

وانتظر برهة ليتيح لها فرصة الحديث ، فقالت :
- اننى لا أفهم على وجه التحديد ، ماذا تريد أن تقول يا مستر هارلو !

فراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وهو عاقد يديه وراء ظهره ، ويقول :

- اننى أبحث عن الزوايا الجديدة فى النفس البشرية .. وقد وجدت لديك احدى هذه الزوايا ، وجدت أنك فتاة غير عادية ، ومعدرة اذا قلت أنك غير ساطعة الذكاء فى الوقت نفسه .. وأنت لست الا فتاة تحب ، وربما لم تحب بكل قلبها بعد .. وسواء كان هذا أو ذاك ، فأنت انسانة خالية تماما من العقد النفسية ، وهذا شيء نادر

وتوقف برهة ، ثم اشار الى باب الغرفة ، وقال :
- ان هذا الباب مفلق بالمفتاح .. وليس ثمة أحد غيرى وغيرك فى هذا القصر ، فيما عدا مديرة البيت .. وسلك التليفون القريب منك مقطوع . وأنا شديد الحب لك
وصمت برهة قبل ان يضيف قائلا :

- لقد احمر وجهك قليلا .. وسبب هذه الحمرة هو الاستياء والضيق ، ولا شيء سوى ذلك . وأكثر من هذا فانك لا ترتعدين ! حسنا .. ربما ترتعدين بعد قليل . هل تسمحين وتضغطين على الجرس القريب من يدك ؟ نعم ، هذا هو ...

وأطاعته بطريقة آلية .. وما كادت ترفع يدها عن زر الجرس ، حتى فتح الباب خادم طويل القامة ، قال له المستر هارلو :

- أريد منك يا توماس أن تبقى فى ردهة الخدم حتى تنصرف هذه السيدة

وانحنى الرجل وانصرف .. وابتمس هارلو قائلا :

— هذا يكذب ما قلته لك الآن .. اى ان الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح ، وان البيت خال من الخدم ، واعتقد انى الآن عرفت حقيقة مشاعرك .. فانت لست بالفتاة التى يسهل خداعها او اغراؤها . واظن انى كذبت عليك ايضا حين قلت لك اننى احبك اشد الحب . الواقع اننى معجب بك فقط ، فانا من الناس الذين لا يعترفون بوجود الحب . واذا شئت الان ان تستدعى جيمس كارلتون ، فافعلى .. ان التليفون الذى بجانبك صالح للاستعمال فقالت بهدوء :

— هل تسمح وتخبرنى ما معنى هذا كله ؟

فاجاب ، وهو واقف بجانب المكتب ينقر على سطحه باصابع بيضاء :

— اننى الان اعرفك .. وهذا هو المهم ، ويمكننى من ثم ان اصارحك بما فى نفسى : فهل يمكنك ، نظير مبلغ ضخ من المال ، ان تتزوجى بشاب يهمنى امره جدا ؟ فهزت راسها رفضا ، وبدا عليه انه تقبل هذا الرضى باعجاب وتقدير ... اذ قال :

— عظيم جدا ! .. لقد ازددت اعجابا بك لهذا الرضى الهادى الوقور . لقد كان فى مقدورك ان تثورى وتقولى اننى اهنتك ، وانك لا تستطيعين ان تتزوجى رجلا من اجل امواله ، كما يفعلون فى الافلام السينمائية . ولكننى على كل حال تمنيت لو كان قلبك خاليا .. — انه خال فعلا ...

— وهذا يعنى انه ليس خاليا فى الحقيقة .. كنت اريد منك ان تتزوجى بشاب احبه ، وهو الطف انسان فى هذه الدنيا . لقد صنعتها بيدي ، واخرجته من ظلمات الجنون الى نور العقل .. واريد الان ان اتم سعادته بالزواج .. ثم مال عليها وقال هامسا :

— هل اقول لك شيئا اعجب من هذا كله ؟ .. اننى رغم كل ما ذكرته ، اؤكد لك انك لو قلت « نعم » لانتهى كل شيء بالنسبة لى ! ولاصبح « هارلو الكبير » نسيا منسيا !

- فخطر لها ان الرجل مخمور .. ولكنه كان في الواقع متمالكا لحالته العقلية بشكل مذهل ، وهو يقول !

- انتى اميل اليك ، واميل الى كارلتون .. انه حقا عنيد وعنيف ، ولكنه خفيف الظل ولطيف ، وهو الان واقف امام القصر في انتظار خروجك . ومعه شاب اخر مقيم في نفس البيت الذى تقمين فيه .. انه يدعى براون ، وهو يتبعك كالظل اينما تذهبين ! فلما شهقت في دهشة ، قال :

- انه من رجال المباحث .. وقد خصصه كارلتون لحمايتك مما قد ادبره لك من شرور ! ثم ضحك فجأة وقال :

- ربما استطعت مساعدتك ذات يوم ، وربما منحتك مليون جنيه لارى ماذا تفعلين بمبلغ كهذا ! وبسط يده اليها ، فصافحته بلا تردد .. ثم قالت وهى تهم بالانصراف :

- انك لم تذكر لى من هو ذلك الشخص الذى اردت أن تزوجنى به !

فضحك وقال :

- انه رجل بلحية ذهبية .. أرجو أن تغفرى لى هذه الدعابة ! ولما غادرت القصر ، رأت كارلتون واقفا على الطوار المقابل ، ومعه ذلك الشاب المدعو براون زميلها فى المسكن



قالت ايلين لكارلتون على انفراد ، وهى تقدم اليه الورقة المكشاة التى عثرت عليها فى قصر هارلو :

- انتى لن اغفر لنفسى هذا الفضول السوء الذى دفعنى الى قراءة ورقة رجل غريب .. ولولا هذا الفضول الذى لا يفتقر لما احتفظت بها لاقدمها اليك ...

وتوقف كارلتون تحت مصباح فى الطريق .. وما كاد أن يقرأ الكلمات المكتوبة على الورقة حتى صفر بغمه ، وهتف قائلاً :

- مارلنج ؟ يا الهى ؟

- ماذا حدث ؟!

فطوى الورقة بعناية ، ووضعها في مفكرة جيبه ، وقال بصوت
حالم :

– مارلنج .. انجل .. مسز جيبنز ! عجباً ! ان اللفز يزداد
تعقيدا ، ولكنه في الوقت نفسه يقترب من الحل ..
– ماذا تعنى بحق السماء !
– انك لا تعرفين ، وكذلك الك لا يعرف .. واننا لا أدري هل
اعرفه او لا ، ولكن كل ما أرجوه ان تمر الايام العشرة التالية بسلام



الفصل التاسع

الإغراء

وعندما وصل الاثنان الى مسكن ايلين ، قالت له فجأة :

— لماذا تصر على أن تضعني تحت حراسة أحد رجالك ، وأعني به المستر براون ! هل هناك خطر يهددني !

— كل شيء محتمل مادام هارلو يدبر شيئاً ما في الخفاء، وجميع الدوائر السياسية والمالية والبوليسية تشعر أن هذا المليونير العجيب سيفاجيء العالم — كعادته — بضربة من ضرباته التي يسميها « دعابة أصحاب الملايين » . ولكن احدا لا يعرف ماذا ينوى أن يفعل

— ولكن ما شأنى أنا في هذا كله !

— مادام قد اهتم بأمرك ، فلا بد أن يكون قد اعد لك دوراً فيما ينوى أن يقوم به

فهزت كنفها في حيرة ، وصعدت إلى مسكنها . .

ولما عاد كارلتون الى مكتبه باسكتلنديارد ، قال له زميله المفتش الك :

— هل سمعت آخر انباء هارلو ؟

— ماذا ؟

انه سيقم في يوم الثلاثاء القادم مأدبة عشاء للملحقين السياسيين للدول البلقانية لكي يسوى ما بين دولهم من نزاع على تخطيط الحدود — او هكذا يقول — وقد علمت أن وزير الخارجية السير جوزيف ليتون قبل أن يحضر جانباً من الحفلة ، قبل ذهابه مباشرة الى مجلس العموم ليدلى بحديث خاص عن « مشكلة بون » التي كثرت الشائعات عنها

وأوما كارلتون يرأسه ، بينما قال لك مستطردا :
- هل اقول لك شيئا آخر ؟ لقد افتتحت شركة راتا فرعاً
جديداً في شارع مورجيت . وعلمت ان الذى قام بعملية الشراء
نيابة عن الشركة هو المحامى المدعو ألنبرى . . أنتى اقترح عليك
ان تقابله وتختبر حقيقة أمره
فقال كارلتون :

- هذا ما انوى ان افعله . . وما هى صفته الان ؟ محام او مالى ؟
- انه محام . . ولكنه يعرف عن الشئون المالية ما يعرفه عن
الشئون القانونية ، واعتقد انه يقوم بأعمال مربية في السوق المالية
- انه يقيم فى ضاحية نوروود . . أليس كذلك ؟ !
- نعم . . وهى الضاحية التى كانت الخطابات الاسبوعية ترسل
منها بانتظام الى المسز جيبنز
- هل تعرف عنه شيئا يعيننا ؟ !
فهز لك رأسه ، وقال :

- أعرف أنه يعيش فى بيت كبير من الطراز القديم يسمى رويالتون
هاوس بجوار كريسفال بالاس ، وأن زوجته تعاني من مرض يجعلها
تلازم الفراش . . وهو يستخدم فى تنقلاته سيارة مآجورة على
حساب شركة راتا ، وليس ثمة ما يؤخذ عليه سوى أنه على اتصال
بالمليونير هارلو . .

- هل انت واثق بأنه يعمل مع هارلو ؟
- كل الثقة ! . . هل تذكر بناية مركز البوليس التى أهدها
هارلو للحكومة بشـارع ايفورى أن ألنبرى هو الذى اشترى
أرضها ، واشرف على بنائها ، وجلب لها العمال الفنيين من ايطاليا
واسبانيا والمانيا ، ثم قام بترحيلهم بعد الفراغ من اقامتها . .
ولكننا فى الحقيقة لم نتأكد من اشتراكه فى العمل مع هارلو الا منذ
عام فقط

وقرر كارلتون عندئذ أن يقوم بزيارة ألنبرى فى أقرب فرصة . .
ولم يدر بباله أن ألنبرى كان يتوقع هذه الزيارة ويستعد لها . .



كان ألنبرى جالسا فى مكتبه الخاص بشـارع نيوبولدروود ،

مستغرقا فى تفكير عميق . لقد كان يستعرض ماضيه المضطرب ،
والاخطار التى تهدد مستقبله بسبب رغبته فى الثراء السريع ،
وانقاذ هارلو له .. ثم كيف أصبح ، فى النهاية ، عبدا اسيرا بين
يدى هذا الرجل الطاغية ، ياتمر بأمره .. ولا يستطيع بحال أن
يخالف له رغبة أو يعصى له أمرا ..

حقا أنه أصبح ميسور الحال .. ولكن ما قيمة الثراء الضخم
وهو لا يستطيع أن يتصرف بحرية لحظة واحدة من حياته !
وهز النبى كنفه أخيرا ، ورفع رأسه وهو يبتسم لنفسه
ويغمغم قائلا :

— اذا كان هارلو يحسب نفسه اذكى انسان على وجه الارض ،
فسوف يعلم بعد اقل من اسبوعين أن هناك من هو اذكى منه !
وفى تلك اللحظة فتح الباب ، وقال له سكرتيره فى اضطراب :
— المستر هارلو ياسيدى ..

وظهر بالباب هارلو بقماته الطويلة ، وكتفيه العريضتين ، وأزراره
المناسية .. وانتفض النبى واقفا يحييه فى اضطراب شديد ، وقد
خيل اليه أن الرجل راح يقرأ أفكاره ..
وقال هارلو :

— اننى لن اجلس .. وانما مررت بك فقط لاقول لك ان المفتش
كارلتون سيزورك ، ليسالك عما تعرف عن المسز جيبنز .. فقد
عرفوا أن الخطابات التى كانت تصلها اسبوعيا بانتظام مرسلة
من نورود .. لماذا لم تحاول ان ترسل هذه الخطابات من لندن
نفسها ؟

— اوه ! اننى اسف .. لقد اردت أن ابعد الشبهة عن مكتبى
هنا ، فى لندن

— كان يمكنك أن ترسلها من أى قسم بعيد من أقسام المدينة
حسنا .. لاتحاول أن تنكر أمر هذه الخطابات ، قل ان المسز
جيبنز كانت خادمة قديمة فى اسرتك ، وانك كنت ترسل اليها
هذا المبلغ بانتظام على سبيل المعاش أو المساعدة . لقد قلت لى
يوما أنه كان لاسرتك خادمة عجوز تحمل هذا الاسم !

— ولكنها ماتت ...

— هذا افضل .. لانه لن يكشف أمر كذبتك .. كيف أحوال
شركة رانا ؟

— على خير ما ينبغى يامستر هارلو .
— عظيم جدا ..



نهض النبرى لاستقبال المفتش كارلتون ، عندما أعلن سكرتيره
حضوره .. ومد يداً متراخية لمصافحته قائلاً :

— طاب صباحك يامستر كارلتون .. هذه مفاجأة في الواقع، فان
رجال اسكتلانديارد قلما يشرفونا بزياراتهم . هل يمكن أن أسألك
عن الغرض من هذه الزيارة ؟!

فقال كارلتون بلا تمهيد :

— اننى أقوم بتحريات خاصة بمقتل امرأة تدعى المسز جيبنز ..
— آه .. هل تعنى المرأة التى انتشلوا جثتها من قناة ريجنت
منذ اسبوع ، او نحو ذلك .. اننى أتذكر هذا الحادث !

فقال كارلتون بوجه جامد الملامح !

— لقد فهمنا أن أمها ، لويزا جيبنز ، كانت تتلقى معاشاً
اسبوعياً بطريق خطابات مرسلة منك اليها ..

وكان كارلتون يقصد بهذه الكلمات أن يوقع الرجل في الفخ ..
ولشد ما كانت دهشته حين رآه يومئ برأسه موافقاً ويقول :

— نعم .. هذه حقيقة لا يمكن انكارها .. لقد كانت أمها
سيدة مخلصة ، أدت خدمات كثيرة لزوجتى المريضة . ولهذا
كنت أرسل اليها معاشاً اسبوعياً ، ولم أعلم بموتها الا بعد حادث
غرق تلك المرأة التى انتحلت اسمها ، والتى عرفت ، أخيراً انها
ابنتها . ولو انى عرفت هذه الحقيقة قبل غرقها ، اى لو انى عرفت
انها كانت تتسلم خطابات المعاش بدلا من أمها المتوفاة لقدمتها للمحاكمة
بتهمة الاختلاس

— لم يبق غير سؤال واحد يا مستر النبرى .. هل انت واثق
بانك لم تر انى جيبنز أبداً ؟

— أبداً .. بل انى لم أكن أعرف أن لخادمتنا المعجوز فتاة تسمى
اننى !

وشعر كارلتون أن الرجل صادق في الإجابة على هذا السؤال
الآخر ..

ولما انصرف كارلتون من مكتب المحامي ، توجه رأسا إلى شركة
التوكيلات القضائية التي يرأسها المستر ستينجز .. وهناك
استقبلته إيلين في دهشة وابتهاج ، ثم أعلنت حضوره للمستر
ستينجز الذي استقبله بغير دهشة أو انفعال . لأنه اعتاد ألا يندهش
أو يفعل من شيء ..

وقد أجاب على سؤال المفتش قائلا :

— اننى لم أر ذلك المدعو مارلنج في حياتى .. لقد قيل لى فقط
انه كان شابا طائشا متهورا ، والله ذهب الى الأرجنتين ولم يعد
— هل أنت واثق من سفره الى الخارج !

فهز المستر ستينجز كتفيه ، وقال :

— ان من واجب المحامي ألا يكون شديد الثقة بأشياء لم يمارسها
بنفسه . ولكن الذى أعرفه أننا اشترينا له تذكرة السفر باسمه ، وأن
اسمه كان بين قائمة ركاب الباخرة المسافرة الى أمريكا ، وأن المس
آليس هارلو كانت مصرة على ابعاده عن الشاب سترايتفورد هارلو
حتى لا يترك فى نفسه أثارا سيئا . وقد قامت من جانبا بتحريات
أكدت لها سفر مارلنج الى أمريكا الجوية .. هذا كل ما أعرفه فى
هذا الموضوع !

— ماذا يمكن أن تعرفه أيضا عن مارلنج ، عدا كونه طائشا متهورا
... هلم تعتقد مثلا ان من الممكن أن يقع تحت سيطرة هارلو ؟!

فقال المحامي وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة كالحة :

— وهل هناك انسان يستطيع أن ينجو من سيطرة هارلو ؟ اننى
لا أعرف شيئا كثيرا مما يدور خارج نطاق أعمالى .. ولكن الذى
أعرفه ان هارلو طاغية يستطيع بأمواله الطائلة أن يتلاعب بأقدار
الأفراد والدول معا ..

ولم يستطع كارلتون أن يظفر من المحامي العجوز ، الحريص ، بأكثر
من هذا .. وفيما هو ينصرف ، لم يجد إيلين عنى مكتبها ، إذ كانت
مشغولة ~~في تلك اللحظة~~ بالبحث عن ملف صاع عن الشريك الأصغر
للمستر ستينجز

وفيما كان المفتش سائراً في شارع بدفورد ، مستغرقاً في أفكاره
.. اذا بسيارة ليموزين فاخرة تتوقف بجانبه ، واذا هو يسمع صوت
آخر رجل كان يتوقع أن يراه في تلك اللحظة .. لقد كان صوت
المستر هارلو يقول له من داخل السيارة :

— هذه مصادفة سعيدة يا مستر كارلتون ..

فابتسم كارلتون ، وقال وهو يعتمد بمرفقيه على حافة نافذة
السيارة ، ويحملق في عيني المليونير الباسم :

— لمن ؟ .. لي أم لك ؟!

— لكلينا كما أرجو .. تعال اركب معي ، لسوف أمضي بك الى
حيث تريد ، أو اذا كان لديك متسع من الوقت ، أرجو أن تقبل دعوتي
لك والذهاب معي الى البيت لان لدى ما أحب أن أعرضه عليك ،
واقتراحاً أحب أن أقدمه إليك ..

فهب كارلتون كتفيه ، وركب مع المليونير الذي انطلق به الى قصره
في بارك لين .. وهناك ، في قاعة المكتبة الفاخرة ، ألقى المليونير
بمعطفه على المشجب ثم جلس على مقعد وثير وقال باسم :

— ان أحد رجالك قد تبعك الى خارج هذا البيت .. يبدو أنك لا
تسير في هذه الايام بغير حراسة !

ثم أردف قائلاً ، وهو يرسل ضحكة خفيفة :

— غير انني لا احقد عليك لانك ترتاب في امري ، فان رأيي هو
أنه من الافضل أن يوضع عشرة رجال أبرياء تحت المراقبة .. على أن
يقلت مجرم واحد من هذه المراقبة ، الا أن المراقبة بوجه عام تثير
الاعصاب أحياناً .. لاسيما أعصاب رجل مسالم مثلي .. وبطبيعة
البحال يمكنني وضع حد لها في أية لحظة ، فان صحيفة « الكورير »
معروضة في السوق الان .. ويمكنني شراءها وتخصيصها للحملة
عليكم واثارة الرأي العام على تصرفاتكم ، كما يمكنني أيضاً أن أدفع
بعشرة أو أكثر من أعضاء مجلس العموم لاستجواب وزير الداخلية
بشأن هذه الرقابة التي تفرضونها على مواطن مسالم مثلي .. والواقع
با عزيزي كارلتون أن هناك وسائل كثيرة ، يمكنني بها أن أحطم
مستقبلك ومستقبل رؤسائك المباشرين

وكان كارلتون يدرك في قرارة نفسه أن الرجل صادق فيما يقول

.. أما المليونير ، فقد استطرد قائلا :

- ولكننى فى الواقع غير مهتم بمراقبتكم لما .. بل ان هذه الرقابة تسلينى فى بعض الاحيان ، فانا - كما تعلم - فوق القانون ..

وضرب ركبته بكفه فجأة ، وأرسل ضحكة عالية ، وهو يردف قائلا :

- يالها من عبارة ضخمة .. ولكنها الحقيقة ! ان كل انسان يمكنه أن يكون فوق القانون ، طالما أنه لا يرتكب سخافة تافهة تلفت إليه حراس القانون .. وطالما أنى لا ارتكب هذه السخافة التافهة ، فلن يستطيع أحد منكم أن يلمسنى !

واقبل رجل يحمل أدوات الشاى ، والويسكى .. فنظر المليونير الى كارلتون متسائلا ، فقال هذا :

- شاى اذا سمحت !

- وأنا أيضا .. اننى قلما أشرب الخمر الا فى المناسبات . والواضح يا عزيزى كارلتون أنك شاب ذكى جرى القلب بارع الى حد كبير . لقد راقبت نجاحك المتواصل فى خدمة الامن العام ، ولو أنك كنت رجل بوليس عادى ، لما اهتممت بأمرك وبعد برهة من الصمت ، عاد المليونير يقول :

- اننى رجل موفور الثراء حقا .. ولكننى ، مع هذا ، أشد ما أكون احتياجا الى رجل مثلك . وأنا أعرف أن مرتبك من اسكتلانديارد بسيط ، وان لك دخلا خاصا لا يزيد على مائتى جنيه فى العام . ولا شك أن المرتب والدخل لن يكفيا رجلا يريد أن يتزوج ويستقر فى الحياة ويربى أبناءه تربية مثالية و ...

ومرة أخرى صمت المليونير .. وهنا قال كارلتون بهدوء :

- وماذا ترى علاحا لهذه الحالة ؟

- ان رنين التهكم واضح فى صوتك يا عزيزى كارلتون .. ويبدو أنك تشعر بأنك اسمى من المال ، ولكننى أؤكدك يا صديقى ان المال أمر خطير جدا ، اننى أعرض عليك خمسة آلاف جنيه سنويا ونهض المليونير واقفا ، بينما قال كارلتون دون أن يختلج فى وجهه عصب واحد :

- وما هو عملى نظير هذا المبلغ ؟

- أن ترعى مصالحى ، وإن تتولى حمايتى .. وإن تقف دائماً بجانبى كلما قمت بأحدى دعاياتى فى الاسواق المالية : خمسة آلاف جنيه فى العام خالصة لك ، بخلاف كل النفقات اللازمة للعمل ...
فما رأيك ؟

فقال كارلتون ببساطة :

- اننى أرفض .. وأنا لا أهتم كثيراً بدعاياتك المالية !

فغوى المليونير شفثيه قليلاً ، وقال :

- أهكذا ؟ باللاسف .. لقد كان من الممكن أن يكون نصيبك فى « الخبطة » التالية مليون جنيه على الأقل . وعلى كل حال ، فانا لا أحب أن أغريك للقيام بشئ ضد مبادئك

وبعد برهة صمت ، أردف المليونير قائلاً :

- ولعلك ترفض هذا العرض المفرى لانك تكره العمل معى بالذات ...

- اننى أحب عملى الحالى ، ولا أفكر فى أن استبدل به عملاً آخر ..

- حسناً ! ان لم يردء أخيراً ، وهو أن تقبل دعوتى للحضور إلى الحفلة التى ساقىها للمحققين السياسيين يوم الثلاثاء التالى .. وأرجو أن تعتبر هذه الدعوة دليلاً على السلام بينى وبينك ..
- يسرنى أن أقبل هذه الدعوة يا مسر هارلو ..

ثم صمت برهة وأردف قائلاً بسرعة :

- أين أستطيع أن أجد مارلنج !

ولم تختلج عضلة واحدة فى وجه هارلو ، وهو يقطب جبينه قائلاً ...

- مارلنج ؟

ثم طوف بعينيه ، وهو يحملق فى وجه المفتش ، مكرراً القول :
- مارلنج ؟! ترى متى أو أين سمعت بهذا الاسم ؟! انك لا تعنى ذلك الشاب الذى كان مدرسا لى ! يا انه السماء ؟ ويا له من سؤال عجيب ؟ اننى لم أسمع عنه شيئاً منذ رحل الى جنوب أفريقيا أو الى ما لست أدري ماداً !

- الى الأرجنتين ..

- أهى الأرجنتين آذن ؟ اننى لا أتذكر .. آه .. بل تذكرت ..

مدينة برنامبيكو ، مات بالكوليرا ، هناك ..

وهز المليونير كتفيه ، واستطرد يقول كأنما يستعيد ذكرياته :

— الحقيقة هي اننى ومارلنج لم نكون على علاقة طيبة .. لقد ظل يعاملنى حتى آخر لحظة كأننى طفل ، وانى لأشعر بالسخط الآن لمجرد ذكره .. مارلنج ! بالذكريات البائسة التى يثيرها هذا الاسم ويا لسلسلة الفيللات التسع التى ظللنا ننتقل فيها من واحدة الى أخرى .. كل فيلا أنيقة ، ذات حديقة كبيرة ، ومنعزلة عن العالم ، ثم دروسه عن اللاتينية ، واليونانية ، والرياضة ، والجبر ، وكل باقى هذه السخافات التى لا مفر منها للانسان فى صباه .. لماذا تسألنى عنه ؟

وكان كارلتون قد أعد الاجابة على هذا السؤال المتوقع ، ومن ثم قال :

— لقد أرسل صديق لمارلنج يطلب منا البحث عنه أو التحرى عن مصيره

وذكر المفتش اسم شاب كان معاصرا لمارلنج فى اكسفورد .. ولم يكن ذكر هذا الاسم بالامر العسير عليه ، لانه كان قد قام فعلا بالتحريات عن مارلنج اثناء دراسته فى الكلية

وقال المليونير وقد تذكر هذا الاسم بدوره :

— يلوح لى أن مارلنج قد تحدث يوما عن صاحبه هذا .. ولكن عشرين عاما قد مضت الان أو أكثر ، وهى مدة ليست بالقصيرة . وان مارلنج قد مات ، ولكنى لست متأكدا تماما من هذه الحقيقة .. فاذا شئت ، فمن الممكن اجراء التحريات اللازمة لان حكومة الارجننتين على استعداد لان تجاملنى فى أى شئ

فيسط كارلتون يده ، وقال ضاحكا :

— انك رجل سعيد الحظ

فحملق المليونير فى وجه المفتش الشاب ، وقال :

— السعادة مسألة نسبية .. ولا أحد يدرك فى الواقع ، أيضا أسعد

من الآخر ، أنت أم أنا ..

وقال كارلتون لنفسه ، وهو يفادر قصر المليونير :

— ان هذا الرجل يحيرنى ، ويخيفنى فى وقت واحد

الفصل العاشر

المفاجأة المذهلة

قال كارلتون لزميله المفتش الك ، وهما يقتربان من قصر المستر هارلو لحضور الحفلة التي أقامها للملحقين السياسيين :

- أن التقارير ترد كل يوم الى اسكتلانديارد من جميع انحاء العالم بأن شركة راتا تنوى القيام بمغامرة ستزلزل الاسواق المالية فى العالم كله . . .

- لعل هذا هو السر فى أن فروعها فى لندن ، لا تكف عن العمل ليلا ونهارا . . فانتى كلما مررت على فرع منها ليلا ، رأيت أأضواء تنبعث من نوافذها ، والموظفين منكبين على العمل فهز كارلتون كتفيه ، وقال :

- ومع ذلك فلا يعرف أحد حتى الان نوع هذه الضربة التى سيوجهها هارلو الى الاسواق العالمية . . وانى لأرجو أن أظفر هذه الليلة بشيء ينم عليها ، ويحسن يا الك أن تكون دائما فى موضع معين أستطيع أن أستدعيك منه فى أية لحظة فقال الك باسم :

- اننى لن أعادر البار لحظة . . وأرجو أن أظفر من أألميونير بمجموعة من سيجاره الفاخر

- لو أنه سمعك الآن لأرسل اليك ملء سيارة من أأفخر أنواع سيجار هافانا

وكانت أبواب قاعة المكتبة الفاخرة مفتوحة كلها ، وقد وقف المستر هارلو فى ملابس السهرة الانيقة يستقبل المدعوين . . ولما رأى كارلتون وزميله المفتش الك ، ابتسم لهما مرحبا ، ثم قال للاول :

١٠ - هل رأيت السير جوزيف اليوم ؟

وقبل أن يجيب كارلتون ، سرت حركة نشاط عند الباب الخارجى
٠٠ فالتفت الجميع لبروا وزير الخارجية السير جوزيف ليتون يقبل
بين الذين أخذوا يحيونه ، وقد ارتدى ملابس التقلدية التى اشتهر
بها : سترة سوداء من المخمل ، وينطون رمادى ذو خطوط سوداء
رفيعة متقاربة ، ونظارته ذات الاطار القرنى الاسود العريض ...
ولكنه كان يبدو رغم ملابسه غير الانيقة ، رجلا عظيما مهيبا

ورمق الوزير المفتش كارلتون بنظرة - وهو يتسسم - ثم قال
للمستر هارلو الذى هرع لاستقباله :

- كنت أخشى الا أتمكن من الحضور ، فان أحدى الصحف قد
عادت وأثارت مشكلة حمقاء بيننا وبين فرنسا ٠٠ وأصبح لزاما على
أن أكون فى المجلس الليلة لارد على سؤال بشأنها

ورأى كارلتون الرجلين ، وهما يتبادلان الحديث باهتمام . ولم
يدرك من حركات يد الوزير أن الحديث له أهميته الخاصة . ولم
يلبث الاثنان بعد ذلك أن شقا طريقهما فى زحام قاعة المكتبة الى باب
جانبي فى الردهة الكبرى الواقعة أمامها . وانتظر كارلتون فرصة
مناسبة ، ثم سار وراءهما بعد أن أشار لزميله الك الواقف الى البار
٠٠ ومسح هذا شاربه بسرعة ، وهرع ليلحق بزميله عند باب
الخروج

وكان المدعوون لا يزالون يتوافدون ٠٠ وكانت ردهة الاستقبال
الكبرى أمام قاعة المكتبة مزدحمة بهم ، ومن ثم كان التقدم بين الزحام
بطيئا . وأخيرا شاهد كارلتون الباب الجانبى من الردهة ينفتح ،
ثم يظهر السير جوزيف والمستر هارلو وهما فى الطريق نحو
الشارع . ولم يلبث هارلو أن عاد بمفرده حيث التقى بكارلتون
وقال له :

- انها زيارة قصيرة من وزير الخارجية . . ولكن لها قيمتها على
كل حال

وكان كارلتون عندئذ قد بلغ أول درجات السلم الخارجى حيث
شاهد السير جوزيف ، وهو يتحرك فى شارع بارك ليس ، ويلوح
بذراعه مودعا ٠٠

رجال هارلو للمفتش الشاب :

- لقد بقي مدة تكفي لكتابة فقرة عنها في صحف الصباح . . .
وسوف يزعم أعدائي أن هذا هو كل ما أردت من زيارة وزير الخارجية
.. الى أين انت ذاهب ؟

فقال كارلتون :

- اننى آسف .. لدى موعد اخر ، فى مجلس العموم
- آه . فهمت .. لقد كنت هنا لحراسة وزير الخارجية فقط .
حسنا ، حسنا ، ان الاحتياط واجب على كل حال . وقد أدركت أنك
لست سعيد الحظ فقط ، بل وقصير النظر أيضا !

فقال كارلتون بحدة ، جعلت المليونير ينفجر ضاحكا :

- لماذا ؟!

- سوف أخبرك بالسبب ذات يوم . . .

وانتظر كارلتون وزميله الك حتى جاءهما أحد رجال المخابرات
بسيارة مأجورة . فانطلقا بها الى فناء البرلمان حيث بلغاه فى نفس
اللحظة التى كانت فيها سيارة السير جوزيف ليتون تتراجع لتتخذ
مكانها بين صفوف السيارات المنتظرة

وقال الك فى لهجة احتجاج :

- اننى لا أدري لماذا تنتزعنى من تلك الحفلة الرائعة . . ؟

ولما لم يجب كارلتون ، التفت اليه الك فى قلق ، وقال :

- هل حدث شيء ؟

فقال كارلتون ، وهما يمشيان الى داخل البرلمان :

- اننى لا أدري على وجه التحديد .. ولكننى فقط أشعر أننا

على وشك التعرض لزلزال عنيف

وانفرد السير جوزيف ليتون وزير الخارجية بنفسه فى غرفته
الخاصة بالبرلمان ، وأبى أن يستقبل أحدا .. أما كارلتون وصاحبه
فقد اتخذ مجلسيهما فى شرفة الزائرين ، وكانت فاعة المجلس ممثلة
بالنواب من مختلف الاحزاب المؤيدة والمعارضة . وبينما كان سكرتير
الجلسة يقرأ مشروع قانون تنظيم القوى المائيه ، دخل السير
جوزيف ليتون من الباب الصغير الواقع وراءه ، وجلس فى مكانه
المعاد ، وراح يقلب فى أوراق بين يديه

وما كاد السير جوزيف يجلس لحظات ، حتى نهض أحد رجال المعارضة ، ووجه الى رئيس المجلس السؤال التالي :

— اننى اقف لاطلب ايضا عما تم فى سؤالى الموجه الى وزير الخارجية فى مذكرة خاصة . وهذا السؤال هو هل اطلع معالي وزير الخارجية على المقال المنشور فى صحيفة الميجانون بخصوص توتر العلاقات السياسية بين حكومة صاحب الجلالة وبين الحكومة الفرنسية نتيجة لحادث « بون » . وهل يمكن لمعالى وزير الخارجية أن يذكر للمجلس هل نشر هذا المقال بموافقة الدوائر السياسية الخارجية هنا كما لمح الكاتب ، أو أنه قائم على آراء فردية خاصة ! ونهض السير جوزيف واقفا ببطء ، ورفع نظارته ذات الاطار القرنى العريض عن عينيه . ثم أعادها ، كعادته دائما كلما بدأ حديثا خطيرا ، ثم تحسس أطراف كفيه ، ثم انحنى على مكبر الصوت المثبت أمامه على المنضدة ، وقال :

— ان حضرة النائب المحترم على حق فى سؤاله .

وخيم الصمت الثقيل على القاعة فجأة ، وبدأ الجميع يتلفتون ويتبادلون النظرات فى دهشة وعجب . . . بينما استطرد السير جوزيف فى الحديث قائلا :

— ان العلاقة بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين حكومة فرنسا متوترة حقا ، والى حد يمكن أن يوصف بالخطورة . . . بل لقد بلغت خطورة الامر أنى طلبت من رئيس مجلس الوزراء الغاء جميع اجازات رجال الجيش فى أعياد رأس السنة . وسوف يعرض عليكم الموافقة على قانون الطوارئ ، كما سيصدر فورا الامر بالتمسكة العامة لجميع قوات الاسلحة البحرية

ومرت لحظة من الصمت الرهيب ، ثم أدا بدوى عبارات الاحتجاج تنهال على مقاعد الحكومة ، وإذا الاف الاسئلة تنطلق من الجميع فى وقت واحد . ولما استطاع رئيس المجلس تهدئة الحال أخيرا ، استطرد السير جوزيف قائلا :

— اننى غير مستعد للجابة على أسئلة أخرى هذه الليلة . . . ولهذا أرجو من حضرات الاعضاء المحترمين أن يحتفظوا بأسئلتهم الى يوم الاثنين التالى حيث أكون فى موقف يسمح لى بالقاء بيان آخر

وهتف كارلتون بوجه شاحب :

— يا للهول ! أن هذا معناه الحرب !

وفتح الك ، الذى كان قد أخذته سنة من النوم ، عينيه .. فرأى صاحبه ينطلق فى الطريق الى خارج القاعة ، فأسرع يتبعه طوال الدهليز المؤدى الى غرفة السير جوزيف . وهناك أخذ كارلتون يطرق على بابها .. فلما لم يرد عليه أحد من الداخل ، أدار المقبض ، فانفتح الباب ، وإذا هو يجد الغرفة مظلمة فارغة

واندفع خارجا منها حيث التقى بأحد السعاة ، فأمسك به وسأله عن السير جوزيف ، فقال الساعى :

— اننى لم أره يا سيدى منذ دخل قاعة المجلس قبل الان بلحظات

وعاد كارلتون مسرعا الى قاعة المجلس ، ولكنه وجد الاعضاء قد انصرفوا عنها وتزاحموا فى حلقات بالردهة الكبرى الواقعة أمامها وكان الواضح من حديثهم المضطرب أن رئيس الوزراء يقوم برحلة فى غربى البلاد وأن قائد البحرية الأول ووزير الحربية غادرا مقرى عمليهما ، بعد ظهر ذلك اليوم ليقوما بسلسلة من الخطب فى حفلات سياسية عامة سوف تقام فى شمالى البلاد .. أما بقية الوزراء ، فقد كانت الاسلاك التليفونية مشغولة بالبحث عنهم والاتصال بهم . وعبثا حاول كارلتون أن يعثر على أحد شاهد السير جوزيف ليتون، وهو ينصرف من دار البرلمان . وأخيرا التقى بأحد رجال الشرطة فى الميدان الواقع أمام الدار ، فعلم منه انه رأى السير جوزيف يسير فى الميدان ، ثم يستقل سيارة مأجورة « تاكسى » رغم أن سيارته الخاصة كانت فى الانتظار

وانطلق المفتشان نحو حدائق هوايت هول التى يقع فيها سكن وزير الخارجية .. وهناك تلقيا صدمة أخرى ، وهى أن الوزير لم يذهب الى مسكنه !

وفى سيارة مأجورة ، انطلق .. أن الى بارك لين ، وهما يأملان أن يكون وزير الخارجية قد عاد من المجلس ليستأنف مشاهدة حفلة المستر هارلو .. ولكن المستر هارلو — بعد أن عثرا عليه فى خضم الحفلة — أعرب لهما عن دهشته ، وقال :

– انه لم يعد طبعاً ! لقد قال لى انه سيذهب الى البرلمان فوراً ،
ومنه الى غرفة النوم فى منزله . ماذا حدث ؟ !
– سوف تعرف ما حدث فى الصحف صباحاً .

قالها كارلتون فى حق وغيظ ، ثم عاد الى دار البرلمان حيث رأى
الجميع ينصرفون عنه ، وحيث علم أن جلساته أجلت !

وفيما كان كارلتون واقفا يتحدث مع أحد الاعضاء ، اذا بوزير
الخزانة يقبل مسرعاً ، ثم يشير بيده الى المفتش الشاب الذى كان
يعرفه . فلما اسرع نحوه ، قال وزير الخزانة له :

– هل كنت فى قاعة الجلسة يا كارلتون عندما أدلى السير جوزيف
بحديثه الخطير ؟

– نعم ياسيدى .

– اذكر لى ما حدث بالتفصيل .

فلما حدثه كارلتون بالامر ، قال وزير الخزانة بلهجة تأكيد :

– لاشك أنه مجنون . فليس فيما قال كلمة صدق واحدة ، الا

اذا كان قد حدث شيء منذ أن رأيته آخر مرة .

– ألا يمكنك ياسير كيرنول أن تصدر بيانا مضادا ؟ !

فعض الوزير على شفته السفلى ، وقال :

– يمكننى أن أفعل هذا ما دام رئيس الوزراء غائبا . ولكننى

أفضل أن أثريت حتى أرى السير جوزيف أولا .

وخطرت ببال كارلتون فكرة ، جعلته يقول :

– انه ليس من الرجال الذين يتعاطون . المكيفات ؟ !

– لا . لا . أبداً ، انه اكثر الرجال الذين عرفتهم حكمة واتزاناً .

.. ترى هل سكرتيه فى البرلمان ؟

وبعد اتصالات تليفونية مختلفة ، علم وزير الخزانة من سكرتارية
مجلس الوزراء فى داوننج ستريت ، ان المحاولات لا تزال تبذل
للاتصال برئيس الوزراء تليفونيا ، ولكن هذه المحاولات لم تأت
ثمارها . ولما تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، أعلنت
السكرتارية لوزير الخزانة انها عاجزة عن منع الصحف كلها من
الصدور فى صباح اليوم التالى وهى تحمل على صفحاتها الاولى –
وبالخط العريض – تصريح وزير الخارجية . بل ان إحدى الصحف

المسائية قد أصدرت فعلا ملحقا خاصا فى هذا الشأن

وقال وزير الخزانة لكارلتون الذى ظل ملازما له :

— ان هذا يعنى إستقالة الحكومة قطعا ٠٠ أما النتائج الأخرى ، فلا يعلم أحد غير الله مداها

— ولكن ماهى أول نتيجة لحديث السير جوزيف فى رأيك ؟
فبسط الوزير يديه وقال :

— انهيار أسواق الأوراق المالية فى العالم كله طبعا ٠٠ ولكن هذا كله لا يقاس بالشعور المؤلم الذى سيسود الدوائر الفرنسية — حكومة وشعبا — ومن سوء الحظ أن السفير الفرنسى غائب فى باريس الليلة

وصدرت صحف الصباح تحمل أنباء التعبئة العامة ، والاستعداد للحرب قد تفدو عالمية . ولكن الطباعات التالية التى صدرت فى الظهيرة ، حملت مع هذه الأنباء الخطيرة التصريح التالى من وزير الخزانة : « علمنا من معالى وزير الخزانة أن مشكلة يون لم تعرض أبدا للمناقشة فى مجلس الوزراء ، وهى تعتبر من المشكلات التى ليست لها أية أهمية دولية اطلاقا . كما ذكر لنا معالى الوزير أيضا أنه لا يستطيع أن يعلن تصريح وزير الخارجيه العجيب فى مجلس العموم أمس »

وظل كارلتون طيلة الليل جالسا على السلم الخارجى لمنزل وزير الخارجيه فى حدائق هوايت هول ، أملا أن يرى السير جوزيف أثناء عودته . وكان قد علم أن رئيس الوزراء فى طريق العودة من غربى البلاد بقطار خاص ، وان بيانا رسميا مضادا لحديث السير جوزيف ليتون قد سلم لادارات الصحف ٠٠

وشهدت بورصة الأوراق المالية فى الصباح مناظر لم يسبق ان كان لها مثيل ، حتى فى مستهل الحرب العالمية ، وكانت أسعار الاسهم والأوراق المالية الأخرى تهبط بسرعة الى أقصى حد ، بل أن الفرع ساد الدوائر المصرفية والمالية أيضا ، ولم يكن من الممكن معرفة ماحدث فى بورصة نيويورك قبل مضى خمس ساعات على الأقل ، ولم تعرف الحالة الحقيقية التى وصلت اليها بورصة الأوراق المالية فى والستريت بنيويورك إلا فى الساعة الرابعة مساء ٠٠ ومنها تبين

ان الاوراق المالية التى عرضت للبيع بلغت حددها الأدنى مما هو
بالاسعار الى الحضيض ، وان شركة سمسمرة ضخمة أعلنت إفلاسها ،
وان اثنين من كبار المالىين انتحرا .. وأغلقت بورصة باريس أبوابها
فى ساعة الظهيرة ، ولكن حركة البيع ظلت مستمرة خارجها وبأى
ثمان معروض ، وأن الاسعار فى بورصة جنوب افريقيا المشهورة
بالاتزان ، قد هبطت الى حددها الأدنى أيضا

وفى الساعة الخامسة مساء ، صدر البيان المشترك التالى من
الحكومتين الانجليزية والفرنسية : « ليس ثمة ظل من الحقيقة فيما قيل
عن وجود حالة من التوتر فى العلاقات بين الدولتين . وأما حادث
بون ، فهو يعتبر حادثا فرديا ليست له أية أهمية اطلاقا . وليس
من شك أن وزير الخارجية أدلى بحديثه الخطير فى لحظة من لحظات
الاضطراب الفكرى »

ولم يهتم كارلتون بهبوط اسعار الاوراق المالية فى جميع انحاء
العالم ، كذلك لم يهتم بما علمه من أن مندوبى شركة راتا راحوا ،
فى كل مكان من العالم ، يشترون الاوراق المالية حزافا وبأقل سعر
ممكن . ولكن اهتمامه تركز فى شيء واحد ، وهو استمرار اختفاء
السير جوزيف ليتون وزير الخارجية ..

لقد كان فى حفلة المستر هارلو عدد كبير من أصدقاء معارف وزير
الخارجية ، وقد أكد هؤلاء جميعا أن الوزير لم يعد الى الحفلة بعد
ذهابه الى البرلمان ، وأن المستر هارلو لم يغادر قصره بعد انصراف
الوزير من الحفلة .. وأكثر من هذا ، فقد أكد الشرطيان المعينان
أمام قصر المليونير أنها لم يريا الوزير بعد انصرافه من الحفلة .

ولما عاد رئيس الوزراء من باريس ، بعد أن سئى الامور مع
حكومتها ، استدعى المفتش جيمس كارلتون اليه وقال بصوت ينم
عن الارهاق :

— يجب العثور على السير جوزيف ليتون فى أسرع وقت .. وأنا
أقول لك يا كارلتون ، — كما قلت لرؤسائك — ان من المستحيل أن
يكون السير جوزيف فى كامل عقله حين أدلى بذلك الحديث فى
مجلس العموم ، وهو يعلم تماما أن أسس له أى أساس من الصحة
.. هل رأيت ذلك الرجل المدعو هارلو ؟

٠٠ نعم ياسيدى

— ألم تعرف — بالمصادفة — فيم كانا يتحدثان فى الحفلة ٠٠ هل كانا يناقشان الحالة السياسية فى دول البلقان أو مشكلة بون ؟

— قال لى هارلو أنها تحدثا عن حالة الدول البلقانية ٠٠ والواقع أن السير جوزيف لم يمكث فى الحفلة غير دقائق معدودة ٠ وقد رأيت السير جوزيف يدخل مع المستر هارلو إحدى الغرف الخاصة الملحقة بقاعة المكتبة ، حيث لم يمكث الا ريثما شرب قدحا من الويسكى أو ما اليه ٠٠ ثم خرجا وهما لا يزالان يتحدثان ٠ وأخيرا انصرف السير جوزيف معتذرا بموعده فى مجلس العموم ، وراح رئيس الوزراء يذرع غرفة مكتبه جيئة وذهابا ، وهو يقول :

— اننى لا أستطيع أن أفهم معنى ما حدث ٠٠ لا أستطيع

ثم أردف قائلا بلهجة حاسمة :

— ابحت لى عن السير جوزيف ليتون فورا وجئنى به ٠٠

وبهذا الامر ، أنهى رئيس الوزراء المقابلة

ورأى كارلتون أن يخفف من توتر أعصابه ، فاتصل تليفونيا بإيلين ريفرز فى مكتبها ، وطلب منها أن تقابله فى نادى السيارات وفرحت إيلين حين التقت بكارلتون وأدركت أنه يلتبس من لقاءها شعورا بالراحة والاطمئنان ، وأنه يتخذ منها صديقا يفضى اليه بمتاعبه وهواجسه ٠ وقد قال لها بعد أن ذكر لها ما حدث بالتفصيل — هناك احتمال بأن يكون السير جوزيف ليتون قد اختطف ، وإن كان هذا الاحتمال ضعيفا ، لان المسافة بين قصر هارلو ودار البرلمان أقصر من أن تتم فيها عملية خطف وزير خطير ٠٠ لقد نشرنا فى جميع الصحف اعلانا لسائق السيارة المأجورة التى استقلها الوزير بعد خروجه من مجلس العموم ٠ ولكن لم يستجب ذلك السائق المجهول للاعلان ٠٠

فقال إيلين :

— ربما اختطف السائق أيضا ٠٠

— ربما ٠٠ ولو أن الوزير انتظر لحظات ، للحقت به ، وصحبته

الى البرلمان ٠ ولكن ما ذنبك أنت حتى أثقل عليك بمتاعبى ؟ ٠٠!

فقال فى لهجة تأكيد :

— لا .. لا .. مطلقا

ثم أردفت قائلة :

— ألا يمكن أن أساعدك فى شىء ؟

— كيف يمكنك أن تساعدنى بحق السماء ! اننى قاس جدا اذ

أثقل عليك بهذا كله ، ولكننى لا أستطيع أن أرى كيف يمكنك ..

فقالت فى لهجة لاتخلو من تهكم :

— أنا أعلم أنه ليس من اللائق أن تعرض فتاة عادية مثلى أن تعاون

رجال اسكتلانديارد ، ولكننى أرجو فقط أن .. أن أعرض عليك

زاوية أخرى !

— الواقع اننى فى حاجة الى زوايا كثيرة ..

— اذن فسوف أبدأ بتقديم واحدة منها اليك .. هل حاولت أن

ترى خالى آرثر أنجل ؟

— فتهتف قائلا فى أندهاش :

— يالى من أحقق غبى !

— اننى أقدم اليك هذا الاقتراح ، لان خالى قام بزيارتي هذا

الصباح لاول مرة منذ خروجه من السجن .. أو على الأقل ، رأيته

فم. أنظاري عند خروجى لتناول الطعام قبيل الظهر ..

— ولماذا أراد أن يقابلك ؟

فأرسلت ضحكة خفيفة ، وقالت :

— لقد جاء يعرض على أعجب عرض .. أنه يريد أن أحافظ على

مسكنه اثناء غيابه ، مقابل مرتب يزيد على مرتبى من مكتب

ستينجز ، وترك لى الحرية فى أن أقوم بعملى اثناء الصباح

— ورفضت طبعاً !

— نعم .. طبعاً .. ولكنه لم يياس .. وأعتقد اننى لم أره من قبل

واسع الصدر كما رأيته عندئذ ..

فسألها كارلتون ، وهو يتذكر وجه الرجل غير الحليق كما رآه

آخر مرة :

— وكيف كان منظره ؟

— أنيقا معتنيا بهندامه الى حد كبير .. وقد قال لى أنه كان يتسلى

فى الايام الاخيرة بالفرجة على الافلام الكبيرة التى فاتته مشاهدتها.

اثناء سجنه .. ولهذا استأجر مجموعة منها مع آلة عرض صغيرة .
وكان في الواقع - وبقدر ما أعرف - شغوفاً دائماً بمشاهدة الافلام
السينمائية ، ولكن الامر لا يخلو من الغرابة اذ يمتزل الناس في
مسكنه ليتفرج على مجموعة مستأجرة من الافلام القديمة . وقد
سألني عنك ، ولاشك أنك ستسأل عن السبب الذي جعله يسألني
عنك .. وهذا ما دار بذهني أيضاً ، فسألته لماذا يسألني عنك ،
فقال انه يعرف اننا أصدقاء ، ثم سألني كيف تمت هذه الصداقة ،
فذكرت له حادثة السيارة البائسة

فقال كارلتون متفكها :

- لاتتحدثي بسوء عن سيارتي ليزي! لقد انكسرت فيها اسطوانة

محرك ..

وهنا قالت :

- والان .. استعد لمفاجأة ضخمة !

- انني مستعد ..

- لقد طلب مني أن أسعى لتدبير مقابلة بينك وبينه .. ويلوح

لي انه قد أعجب بك فجأة ..

فقال كارلتون :

- انني لم التق بذلك السيد من قبل ، ولكنني متشوق أيضاً الى

لقائه في أسرع وقت .. ولنذهب معا ، ولاشك أنه سيظن فجأة أننا

خطيبان و...

- انني موافقة ..

وكان كارلتون - في الواقع - قد التقى بآرثر انجل لمدة لحظات

قصيرة ، عندما ذهب لسؤاله عن المسز جينز ، ومن ثم فقد دهش

حين ذهب كارلتون لزيارته مع إيلين ، فوجده يستقبلهما في بشاشة

وإبتهاج ، ثم يقول باسم :

- ابن زميلك المفتش الك ، انني أعرف انكما لا تفتقران ابدا في

هذه الايام العصبية : حسنا .. حسنا .. اذن فانت المفتش

كارلتون !

وقدم الى المفتش علبة سيجار فاخر ، فتناول كارلتون واحدا

منها ، وهو ينصت الى الرجل في قوله :

— اعتقد ان ايلين قد اخبرتك عن رغبتى فى مقابلتك .. والواقع اننى اريد ان اقابلك فعلا ، لانى صاحب نظريات مبتكرة واعتقد ان لى نظرية معينة فيما حدث ، قد تثبت الايام صحتها .. ولست ادرى هل تحب ان تسمعها ..

فلما أوما كارلتون برأسه ، استطرد آرثر انجل قائلا :

— لقد تبين لى من تحرياتي الخاصة ان السير جوزيف ليتون كان غارقا الى اذنيه فى الديون ، ولا يعرف هذه الحقيقة احد — حتى رئيس الوزراء وزملاؤه الوزراء — واعتقد يا مستر كارلتون ان فى مقدورك الان ان تربط بين حالة السير جوزيف المالية ، وبين هذا الدور الذى قام به فى البرلمان نظير مبلغ طائل من المال !

وفىما كان آرثر يتحدث .. وهو يشبك اصابعه امامه حينما ، وأحيانا يضع يده عند جانب وجهه ، شعر كارلتون فجأة أن كل شيء قد أصبح واضحا امامه ، وان لغز السير جوزيف ليتون لم يعد بالنسبة له لغزا . وفى نفس الوقت ادرك سر اهتمام آرثر انجل بتلك الافلام السينمائية التى عاش بضعة ايام ، وهو يتفرج عليها فى عزلة عن الناس

ولم يبق امام كارلتون بعد ذلك الا أن يعرف المكان الذى يوجد فيه السير جوزيف ليتون ..

ولما فرغ الرجل من حديثه ، قال كارلتون :

— حسنا .. حسنا .. سوف اعرض رأيك هذا على رؤسائى

المباشرين

فهز آرثر كتفيه كأنما يقول له « افعل ما تشاء .. فقد أديت واجبى نحوكم » ثم قال مشيرا الى ايلين ريفرز :

— اننى أرجو أن تقنع هذه الفتاة بالعمل على رعاية مسكن رجل مثل معرض فى أية لحظة للعودة الى السجن !

فنهض كارلتون ، وقال باسم :

— سأحاول ان اقنعها ، لانك فى الواقع اكثر الناس تعرضا للعودة الى السجن فى الوقت الحاضر !

فوثب الرجل ، وقال بوجه شاحب :

— لماذا ؟ .. ما معنى هذا التهديد ، وقد أمضيت مدة العقوبة

في دارتمور ، وكفرت في السجن عن ذنوبي وأخطائي .. انكم يارجال
المباحث لا تستطيعون ان تثبتوا شيئا على . واذا أردتم ان تفعلوا
هذا ، فيجب ان تكونوا على ذكاء خارق

فقال كارلتون ، وهو منصرف مع الفتاة :
- ان الذكاء الخارق يا مستر انجل ليس مقصورا على المثليين
القدامى !!

ولما اصبح في الطريق مع ايلين قال لها :
- يبدو ان مهمتي الان قد اقتصرت على تحذير الناس مما قد
يحدث لهم .. ولهذا أرى يا ايلين ان تصنعى لى كمامة حتى أكف
عن الحديث الذى يمكن وصفه بالثرثرة الحمقاء !
واحست ايلين بقلبها يخفق فجأة ، وهى تسمعه لأول مرة في
حياتها ينادىها باسمها مجردا ..

ولما اقتريا من باب مسكنها ، توقفت امامه .. ونظرت اليه
طويلا فى صمت ، ثم اذا وجهها يضطرم ، واذا لسانها ينعقد ،
وخشيت ان تفتضح مشاعرها الحارة فى تلك اللحظة ، فأطرقت
براسها ، وقالت بصوت خافت :

- اتعتقد انك ستستطيع العثور على السير جوزيف ؟

فهز راسه فى حزن .. وبعد برهة من الصمت ، قال :

- اننى اشك أكبر الشك فى انه لا يزال على قيد الحياة !

ولكن شئت الاقدار أن تسخر من شكوكه بطريقة عجيبة مذهلة
.. ففى تلك الليلة نفسها ، ضرب مهرج فكاهى مصبوغ الوجه
باللون الاسود احد رجال البوليس بالقيثارة على ام راسه .. وقد
أدى هذا الحادث الى نتائج مذهلة ..



الفصل العادى عشر

المهرج ذو الوجه الأسود

هناك طبقة من المهرجين الذين يتكسبون أرزاقهم من العمل على تسليّة طواير الواقفين أمام نوافذ التذاكر بدور السينما والمسارح والمراقص .. منهم المطربون الفكاهيون ، ومنهم الممثلون الهزليون، ومنهم المهرجون الذين يصبغون وجوههم باللون الاسود ، وحواجيهم وشواربهم باللون الابيض ..

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، والجليد يتساقط رذاذا ، عندما رأى الشرطى فى نهاية شارع ايفورى رجلا يسير مترنحا فى وسط الطريق ، معرضا نفسه لاشد الاخطار .. فلما اقترب منه ليحذره ويرشده ، رآه واحدا من هؤلاء المهرجين الذين يصبغون وجوههم بالسواد ، يحمل بين يديه قيثارة يردد عليها بعض الاغانى الفكاهية ، ويرسل ضحكاته عالية بين الحين والآخر

والمعروف عن رجال الشرطة فى لندن أنهم يتمتعون بصبر كصبر أيوب ، ويحرصون دائما على عدم الاساءة الى السكارى ، لان القانون لا يأخذ بخناق السكير طالما أنه لم يرتكب ما يخالف القانون، ولهذا حاول شرطى شارع ايفورى أن يتفاهم بالحسنى مع المهرج التمل ، فاذا بهذا يهوى على خوذة الشرطى بقيثارته ويسبه سبا قبيحا ، وهنا أمسكه الشرطى بقبضة من حديد ، وهو يقول له :

– لقد أوقعت نفسك بنفسك تحت طائلة القانون

وحدث – مصادفة – أن كان المفتش كارلتون فى مركز بوليس بشارع ايفورى ، وهو نفس المركز النموذجى الذى اهداه هارلو للحكومة ، عندما حىء بالمهرج السكير وهو لا يزال يصخب ويغنى . وقد بلغ من وضوح سكره ان المفتش لم يعن بالقاء غير نظرة عابرة

اليه ، عاد بعدها الى الحديث مع مفتش البوليس المنسوب في المركز . وبعد أن أقاموا بتفتيشه تفتيشا دقيقا ، وبعد أن انتزعوا منه اسمه - وقد أصر على عدم ذكر عنوانه - أودعوه غرفة الحجز الاحتياطي رقم ٧

وقال السجان بعد أن أغلق باب غرفة الحجز على الرجل ، وعاد يمسح العرق عن جبينه بسبب ما بذله من جهود مع زملائه في ابداع السجين الغرفة :

- يا لله من مهرج لعين .. ان لغة السباب التى يستعملها كقيلة بتعكير مياه المحيط !

وكان المفتش كارلتون قد ذهب الى مركز البوليس فى شارع إيفورى ليحصل على إذن بتفتيش قصر المليونير هارلو ، وللتفاق مع وكيل النيابة على تنفيذ خطة معينة كانت مرسومة فى ذهنه . ولكنه لم يجد المأمور ، فجلس يتحدث مع زميل له ، ثم انصرف الى قصر وزير الخارجية ليتلقى الرد التقليدى وهو « لم يحضر بعد »

وكان وكيل النيابة الذى أراد كارلتون مقابلته ، سيظهر فى محكمة المركز فى اليوم التالى ليقدم بعض قضايا الجنع .. ولهذا ذهب المفتش الى المحكمة لمقابلته بعد انتهاء الجلسة . ولما وصل الى قاعة المحكمة قبل انعقاد الجلسة ، أقبل عليه وكيل النيابة ، وقال له :

- هل كنت موجودا امس فى مركز البوليس عندما جاءوا بذلك المهرج السكر ؟

- نعم .. ماذا حدث ؟!

- اننى لا أفهم تماما ماذا حدث ، فان الجاويش يؤكد أنه فتشه تفتيشا دقيقا ، فلم يجد شيئا .. ولكننى حين امرت باعادة تفتيشه فى هذا الصباح ، وجدت هذه البطاقة .. ولا شك أنه قد أخفاها بمهارة فى ثنایا ملابسه

- ماذا به ؟!

- فى حالة شديدة من التخر .. فعندما ذهب السجان فى الصباح لابقاظه وجده مستغرقا فى شبه غيبوبة شديدة ، بحيث

خطر إلى استدعاء طبيب المركز لاسعافه .. وقد عجزنا عن انتزاع كلمة منه ، كما حمله رجال الشرطة حملا إلى سيارة المحكمة للحضور

وانتهى القاضى من القضيتين الأوليين بسرعة ، ولما نادى الحاجب على المدعو « جون سميث » وقف في قفص الاتهام ذلك المهرج ذو الوجه المصبوغ سوادا ، والذي بدا - بعد سكره الليلة الماضية - متهدلا متداعيا لا يكاد يستطيع الصمود على قدميه وقال القاضى بلهجة حادة ، وهو ينظر إلى المتهم :

- عجباً ! لماذا لم يسمح لهذا الرجل بغسل وجهه قبل حضوره ؟
فأجاب السجان قائلا :

- لم نستطع أن نجعله يفعل لنفسه شيئا هذا الصباح ، وليست لدينا المادة اللازمة لازالة هذه الصبغة عن وجهه
وغغمم القاضى بكلمات غامضة تنم عن الاستياء ، ثم قال للمتهم بعد أن قرأ صحيفة الاتهام :

- ما رأيك يا سميث ؟
ولم يرفع الرجل رأسه المتدلى على صدره .. وعندئذ قال القاضى :

- ألم يعرف أحد عنه شيئا ! اننى لاحظ أن عنوانه لم يذكر فى صحيفة الاتهام
فقال الجاويش :

- لقد رفض باصرار أن يذكر لنا عنوانه ..
فقال القاضى :

- تؤجل القضية للتحريات ..
وهنا رفع المتهم رأسه ، وتلفت حوله فى ذهول ، ثم قال :
- هل يمكن أن أفهم لماذا أنا هنا ؟
وكاد كارتون أن يسقط مغشيا عليه ، لانه ايقن من صوت الرجل أنه السير جوزيف ليتون وزير الخارجية بدمه ولحمه !



ودهش القاضى من حديث الرجل .. ولكنه لم يعرف شخصيته من نبرات صوته .. وفيما هو يهم بإصدار أمره لإخراج الرجل

من القاعة ، اذا بالمفتش كارلتون يسرع اليه ويتهامس معه ، واذا
القاضي يقول وهو يطوف بعينه :

— من ؟ مستحيل !!

وعاد المتهم يقول :

— هل يمكن أن أسأل ما معنى هذا كله ؟ لأننى لا أفهم شيئاً
فى الواقع

وترنج ، وكاد يسقط على الارض لولا ان اسنده السجان .
وهنا أمر القاضي باحضار المتهم الى غرفته الخاصة ثم أجل انعقاد
المحكمة لمدة عشر دقائق ، وتراجع من بين الستائر الى غرفته
الخاصة ..

وبعد لحظات حمل رجال الشرطة الرجل المفضى عليه ، ووضعوه
على الاريكة فى غرفة القاضي الذى سأل المفتش فى ارتياب شديد :

— هل أنت واثق مما تقول يا مستر كارلتون ؟

— كل الثقة .. ان هذا الرجل هو السير جوزيف ليتون وزير
الخارجية

وحملق القاضي فى وجه الرجل بامعان ، ثم قال :

— اكاد أرى أنك على حق ، ولكن ..

ولم يتم عبارته ، وانما أسرع الى قاعة المحكمة لينظر فى بقية
القضايا المعروضة عليه فى ذلك اليوم ..

وارسل كارلتون يستدعى طبيب المركز ، ثم أسرع باستحضار
المادة اللازمة لازالة الاصباغ من أقرب صيدلية .. ولما حضر
الطبيب ، كانت ملامح السير جوزيف قد توضحت تماما ، ولكنه
ظل فى غيبوبته ..

وقال الطبيب بعد ان قام بفحصه :

— لقد خدر تخديرا متواسلا ، فان آثار الحقن واضحة على
ذراعه .. ولكننى لست واثقا — فى الوقت الحاضر — من نوع
المخدر

وترك كارلتون الوزير فى رعاية الطبيب ، وأسرع بالاتصال
تليفونيا برئيس الوزراء الذى قال فى اهتمام بالغ :

— سوف أحضر فوراً .. وابذل أنت كل جهد حتى لا يتسرب



الخبر الى الصحف ، كما أرجو أن تطلب من القاضي - اكراماً الى
- الا يذكر الموضوع في الجلسة

وظل السير جوزيف مفشياً عليه حتى بعد أن جاء رئيس
الوزراء . وكانت احدى مركبات الاسعاف قد استدعيت على جناح
السرعة ، ووقفت في فناء المحكمة تنتظر . وبعد مجهود شاق ،
امكن تهريب السير جوزيف ، وهو ملفوف تماماً ببطانية كبيرة ،
الى مركبة الاسعاف التى انطلقت به نحو مستشفى صغير خاص
وقال رئيس الوزراء في يأس :

- اننى حائر تماماً ..! ما معنى هذا ؟ كيف اصبح وزير
الخارجية مهرجاً مصبوغ الوجه يهاجم رجال الشرطة وهو سكران
.. هل كنت في مركز البوليس عندما جاءوا به اليه ؟ الم تتعرف
عليه عندئذ ؟

- لا ياسيدى ، اننى لم أهتم بأمره ، ولم أحاول أن أطيل النظر
اليه .. لقد بدا لى مجرد سكران ، ويمكننى أن أقسم انه لم يكن
مخدراً اطلاقاً ، ويقسم السجان أن رائحة الويسكى كانت تفوح منه
وانصرف رئيس الوزراء وهو يغغم :

- اننى حائر .. اننى لا اكاد أصدق سمعى وبصرى .. انه
لامر يفوق الخيال ..

وتذكر كارلتون - بعد انصراف رئيس الوزراء - شيئاً ،
فأسرع الى وكيل النيابة وقال له :
- قلت انك وجدت شيئاً - أو بطاقة - فى ملابس هذا الرجل
عندما فتشته ، فأين هى ؟

وتناول وكيل النيابة من مفكرة جيبه بطاقة بيضاء تماماً من
الجانبين ، ليس فيها غير علامات كأنها هى محاولات شخص للكتابة
بسن مديبة ، وقد استطاع كارلتون ، حين فحص العلامات بدقة ،
أن يقرأ هاتين الكلمتين : « مارلنج » ، و « هارلو » . وتناول
قلم رصاص ، وراح بشفرة موسى ، ينثر منه مسحوق الجرانيت
على سطح البطاقة ، فتوضعت الكلمات التالية التى كانت مكتوبة
بسن دبوس :

« الى اى شخص ... أرجوكم ... »

وكانت تحت الكلمة الاخيرة خطوط تأكيد كثيرة . وقال كارلتون
لوكيل النيابة :

— ما معنى هذا ؟ وما معنى كلمتى « مارلنج » و « هارلو »
أيضا المكتوبتين بنفس الطريقة ؟

فقال وكيل النيابة وهو يهز راسه :

— العجيب فى الموضوع أن الجميع يؤكدون أن هذه البطاقة لم
تكن فى ملائسته أمس عندما فتشوه .. فكيف تسربت اليه عندما
أعدت تفتيشه فى هذا الصباح ؟!



وظهر البيان الموجز التالى فى صفح الصباح :

« أن السير جوزيف ليتون ، وزير الخارجية ، فى حالة مرض
شديد بمستشفى خاص »

ولكن السوق المالية العالمية التى أنهارت كقصر من الرمال ، كانت أحوج
الى علاج أقوى من مجرد هذا البيان الموجز لكى تبدأ فى الثبات .
والواقع أن هبوط الاسعار ظل مستمرا اياما عديدة حتى ثبت
واستقر ، ثم بدأت الاسعار تعود تدريجيا الى مستواها قبل بيان
السير جوزيف الذى القاه فى البرلمان وزلزل به قوائم الاسواق
المالية العالمية ..

وراحت اصابع الاتهام فى كل انحاء العالم تشير الى شركرتانا ،
والى المليونير هارلو المستتر وراءها .. ذلك أنه ثبت أن اموال
المليونير هى التى استخدمت فى شراء ملايين الاوراق المالية عندما
وصلت أسعارها الى الحد الأدنى ، ولكن الامر لم يتجاوز مجرد
الاتهام الذى لا يقوم على براهين ثابتة

وظل كارلتون بجوار فراش السير جوزيف نحو ست ساعات فى
انتظار افاقته .. وكان فى خلال هذه الساعات يفكر فى المليونير
هارلو ، ويحاول أن يعرف ماذا يريد رجل مثله من الدنيا أكثر
مما منحه ؟ أن لديه من ملايين الجنيهات ما يجعله فى غنى عن أية
أموال أخرى .. فلماذا دبر هذه الحيلة كى يربح أكثر من عشرين
مليون جنيه فى شهر واحد ؟!

هل هى الرغبة فى المقامرة ؟ ! .. أو هى الرغبة فى العبث

والشعور بالقوة التى تجعله يداعب العالم كله هذه الدعايات
الثقيلة ؟!

وتلفت كارلتون الى السير جوزيف النائى بجواره ، غائبا عن
وعيه ، ثم قال لنفسه :

« ترى أية قصة سيحدثنا بها عندما يتنبه من غشيته ! »

وهو المفتش كتفيه ، وهو يتذكر حديث آرثر انجل عن اضطراب
الاحوال المالية للسير جوزيف ، ذلك أن حياة السير جوزيف أثناء
توليهِ الوزارة كانت كالكتاب المفتوح للمحيطين به .. فقد كانت كل
تحركاته ومقابلاته ومواعيده واسماء زواره مسجلة ساعة بعد
ساعة ، ويوما بعد يوم ، فى ملفات السكرتارية ، فكيف يمكن لرجل
هذا شأنه أن يتآمر فى الخفاء مع مليونير معروف لزلزلة الاسواق
المالية العالمية !

واقبل الطبيب للمرة الثالثة ، وبدأ يعمل على تنبيه السير
جوزيف .. ونهض كارلتون من مكانه ، ووقف عند النافذة يطل
من وراء زجاجها الى الطريق . ولما سمع الطبيب يتنهد أخيرا فى
ارتياح ، التفت نحوه وتقدم الى موضع السير جوزيف الذى كان
قد فتح عينيه ، وبدأ يتلفت حوله فى اندهاش .. حتى اذا رأى
كارلتون ، قال له بصوت ضعيف :

— هاللو ، ماذا حدث ؟ هل تحطمت السيارة تماما ؟

فقال كارلتون يرفق :

— لا شئ خطير يا سير جوزيف

ولما وقعت نظاره على جدول الحرارة المعلق فى الفرائش ، قال :

— اننى فى مستشفى كما يبدو ! اليس كذلك ؟

— نعم .. مستشفى خاص ..

وبعد برهة صمت ، قال الوزير :

— أن رأسى يوشك أن ينفجر ، هل تسمح لى بقدرح ماء ، أو أن ..

وأوما الطبيب برأسه للمفتش ، فقدم هذا للوزير قدح ماء شربه
بشراهة ونهم ، وقال :

— ان رأسى يبدو خفيفا ، ولكننى أقسم أنك المفتش جيمس

كارلتون ، اليس كذلك ؟!

- نعم يا سيدى ، اننى جيمس كارلتون ..
- هل انكسر شيء ؟ انها السيارة طبعاً .. لقد طلبت من سائقى
الاحمق المتهور ان يكون على حذر ، لان الطريق كان زلقاً كأنه
مكسو بالصابون

ولما راح يحرك ذراعيه وساقيه ، قال له كارلتون :
- انك بخير يا سير جوزيف .. كل ما حدث لك انك أصبت
بصدمة عصبية فقط !
- صدمة ؟! .. اننى لا اذكر تماماً ! وهارلو ؟ انه رجل لطيف ،
ولكنه مسرف فى أناقته ! لقد حضرت حفلته الليلة .. نعم ، اذكر
هذا ..

ولم يخبره كارلتون ان الحفلة كانت منذ ايام معدودة .. ولكن
الوزير استطرد يقول فى صوت ضعيف :
- آه .. وماذا فعلت بعد ذلك ؟ لقد غادرت الحفلة فى الطريق
الى البرلمان ! ان عقلى يدور مثل كرة من الصوف !
ثم نظر الى الطبيب الواقف بالقرب منه ، وبدأ انه يراه لاول
مرة ، اذ قال له :

- ما رايك يا دكتور .. أهى حقاً ضربة شمس ؟

فقال الطبيب وهو يعيد قياس نبضه :

- لا يا سير جوزيف ..

- اذن فماذا حدث ؟

- هل حدث ان تعاطيت اى نوع من المخدرات فى حياتك يا
سير جوزيف ؟

- مخدرات ؟ يا له من سؤال ! اننى قلما اتعاطى اى نوع من
الدواء !

- حسناً جداً .. ان قلبك سليم . وكل ما تحتاج اليه الان هو
قليل من النوم

- وبعض الطعام أيضاً .. فانا جائع كذئب الشتاء

وبعد نصف ساعة ، عاد السير جوزيف واستغرق هذه المرة
فى نوم عميق



وفى صباح اليوم التالى طلب كارلتون الاذن لمقابلة رئيس الوزراء

.. فلما اذن له ، قال :

- ان السير جوزيف ليتون يعتقد انه ضحية حادث سيارة تعرض له بعد انصرافه من حفلة هارلو في بارك لين . وهو لا يتذكر شيئا من حديثه في البرلمان . ويقول الطبيب انه لن يستعيد كامل قواه الفكرية الا بعد أيام أخرى .. وأنا الان في مركز حرج ياسيدي ، لان هناك حلقة غامضة لا يمكن الكشف عنها الا اذا خرجت عن نطاق القانون باذن منك

فقال رئيس الوزراء :

- لا يهمنى كثيرا ما تفعله طالما اننا نبحث عن الحقيقة .. ان مجلس الوزراء كله مهتد بالسقوط ، مالم تظهر الحقائق المستترة وراء هذا الحادث .. لسوف اصدر اوامري بان يكون لك الحق في ان تفعل ما تشاء بلا اذن من النيابة ، وسوف اؤيدك في كل خطوة تخطوها من اجل الحقيقة

ومضى كارلتون في ابتهاج الى اسكتلانديارد ليعد نفسه لتنفيذ خطة معينة يثبت بها نظرية كانت تتبلور في حنايا ذهنه اثناء ساعات الليل التي أمضاها بجوار فراش السير جوزيف ليتون



الفصل الثاني عشر

في مواجهة الموت

أربعمائة وخمسون برقية أرسلت الى مختلف مكاتب السمسرة العالمية في يوم واحد .. هذا نصها :

« أودعوا ، بالبرقيات ، في فرع بنك لومبارد بشارع كار جميع الارباح الناتجة من العملية ١٧ .. انتظروا تعليمات أخرى .. راتا »

أرسلت هذه البرقية في الساعة الثالثة صباحا .. وبعد ظهر اليوم التالي ، ذهب المحامي النبرى لمقابلة المدير الاجنبى لفرع بنك لومبارد ، وكان صديقا قديما له ، وسبق له التعامل معه ، حيث قال :

– اننى اتوقع تحويل جانب كبير من أرباح شركة راتا الى هذا الفرع بالبرق ، وأريد استلام هذه الارباح نقدا

فقال مدير الفرع ؟ امتعاض :

– لم أكن أحب أن يكون لك دخل فى عمليات شركة راتا يا النبرى ، انكم لا تعرفون ما يقال عنكم فى كل مكان الآن فهز النبرى كتفيه وقال :

– لقد غرت الحرب مصرى ، ولم يبق أمامى الا أن أتشبث بالحياة .. أما التزمت ومراعاة المبادئ الخيالية ، فلن تجدى معنى شيئا

وقال مدير الفرع وهو يلوى شفتيه :

– أريد أن أسألك بصفة خاصة ، كم سيريح هارلو من هذه الضربة العجيبة التى وجهها الى الاسواق المالية ؟!

– سوف أخبرك بالتحديد ذات يوم .. ولكن هذه الارباح لاتقل

بأية حال عن عشرين مليون جنيه . والاعجب من هذا أن في مقدوره الحصول على الجانب الأكبر من هذه الأرباح في أى وقت خارج البلاد

— أى أنه اذا اضطر يوما لمغادرة البلاد ، فسوف يظل مليونيرا حيثما يكون !

— نعم .. لان أموال شركة راتا وأرباحها فى الخارج مودعة تحت أسماء سترية ، لا يعرفها احد غيره . والان أريد أن تسلمنى غدا ، البالغ التى سترد اليكم اليوم ، نقدا

وفى صباح اليوم التالى ، تناول ألنبرى أفطاره ، ثم وقف فى الحديقة الخلفية لمنزله رويالتون هاوس ، وراح يتأمل الحفرة الكبيرة التى تتوسط الحديقة ، ويفكر فى المشروعات الكثيرة التى كان ينوى أن ينفذها فى هذه الحفرة ليجعل منها بركة صناعية ، أو حمام سباحة ، تحيط به الأشجار الطويلة !

وهز كتفيه وقال لنفسه : « يبدو أن الإقدار لا تريد أن أنفذ شيئا من هذه المشروعات »

وعاد الى البيت ، وحمل حقيبتى سفر كبيرتين فارغتين الى سيارة شركة راتا التى كانت واقفة فى الانتظار امام المدخل .. وطلب من السائق أن يمضى به الى فرع بنك لومبارد بشارع كار ١٠ وكانت شركة راتا تستأجر سيارات اعمالها من جراج خاص يضاعف أسعار أجور سياراته نظير الاحتفاظ بأسرار عملائه حتى من الدوائر البوليسية . فلا عجب ان كان سائق السيارة التى انطلقت بالنبرى ، رجلا طويلا عريض الكتفين أسود الشارب ، تدل سماته على عدم الاهتمام بأى شئ الا بنفسه

وفى غرفة مدير الفرع الخاصة ، قال النبرى :

— هل الأرباح كثيرة ؟

— جدا . وهذا أول الفيث . لقد بلغ مجموعها حتى الان مائة وعشرين ألف جنيه من بعض المصارف الامريكية فقط

— عظيم جدا .. وأنا فعلا أريد هذا المبلغ بالدولارات الامريكية

وظل ألنبرى فى البنك يحضى رزم البالغ المسلة اليه ويودعها فى الحقيبتين ، حتى بدأ المساء يزحف على العاصمة .. وأخيرا حملهما

بنفسه الى السيارة ، ومضى بها الى مكتبه الخاص في شارع فيو بولدرد
وقد سره أن المكتب يقع في الطابق الارضى ، والا لما استطاع أن يصعد
بالحقيبتين الثقيلتين الى طابق علوى

وكان هو قد أعد كل شيء لتنفيذ الخطة التى رسمها باتقــان ،
للهرب بهذه الاموال الى الخارج . . لقد أعد جواز سفر متقن التزوير
وطلب من سكرتيره أن يمتنع عن الحضور الى المكتب نحو اسبوعين ،
لانه لن يكون فى حاجة اليه خلالهما ، واشترى تذكرة السفر فى
القطار الأزرق السريع الذى يمر بفرنسا فى طريقه الى سويسرا . . .
ولم يبق عليه الآن الا أن يرتب هذه الاوراق المالية فى قاعدة حقيبة
السفر الضخمة التى أعدها لهذا الغرض

وبدأ فى تغريغ رزم الاوراق المالية ، ليصفها فى مظروفات كبيرة
من الورق السميك . ولما فرغت المظروفات الموجودة لديه ، غادر
المكتب ، واسرع الى أقرب متجر لبيع الادوات والاوراق الكتابية ،
وعاد بمجموعة أخرى . . وفيما هو يستأنف عمله ، اذا به يرفع
رأسه وقد خامره شعور بأن هناك من يراقبه خارج الغرفة . وتسمرت
يداه على رزم الاوراق المالية المتناثرة أمامه حين رأى عينين تحمقان
اليه من زجاج فتحة الباب الصغيرة العليا . . ولكنه لم يلبث أن
تمالك نفسه ، فوثب واقفا وهو يعض على نواجذه ، وأسرع بفتح
الباب ليجد أمامه فتاة فى معطف أزرق طويل ، وعلى قبعتها قطرات
من المطر الذى كان يتساقط فى الخارج عندئذ . وكانت تمسك بيدها
مظلة لا يزال ماء المطر يتساقط منها

ونظرت الفتاة - وكانت ايلين ريفرز - الى الحقائق المفتوحة ، والى
رزم الاوراق المالية ، فى دهشة بالغة . . لانها لم تر فى حياتها مثل
هذه الاكوام من المال . وقال لها النبرى بجفاء :

- ماذا تريدين ؟

- لقد حاولت أن أجد سكرتيرك لأستأذنه فى الدخول ، ولكننى
وجدت الباب مفتوحا . . !

وأدرك النبرى أنه نسى الباب الخارجى مفتوحا بسبب تعجله عند
العودة بعد شراء المظاريف . . بل انه نسى أن يغلق أيضا باب غرفة
الانتظار الخارجية

وقال فى أنفاس لاهثة ، بعد أن تعرف عليها :
- أنك الموظفة فى مكتب ستينجز ! أليس كذلك ! .. حسنا ،
ماذا تريدین ؟

فتناولت من حقيبة يدها مطروفا مطويا ، وقالت ان بعض الديون
القديمة التى كانت للمس هارلو قد سددت قبل وفاتها .. ولكن
المستر ستينجز نسى تسجيلها فى ذلك الحين ، وقد أدرك هذه
الحقيقة أثناء جرد السجلات القديمة التى مضى عليها أكثر من عشرين
عاما ..

وتناول النبرى المطروف من يدها ، وهو لا يكاد يفهم شيئا لفرط
اضطراب ذهنه ، ثم قال :

- آه .. حسنا ، حسنا .. لسوف أنظر فى هذا الامر غدا ..

- ان المستر هارلو قد عرف هذا الامر ، لان المستر ستينجز اتصل
به تليفونيا وأخبره به ، فطلب منا أن نخطر به فورا ونأتى اليه فى
قصره بالتفصيلات فى هذه الليلة

وازداد اضطراب النبرى ، وخيل اليه أن الارض تميد تحت قدميه
وهو يسألها قائلا :

- هل يعنى هذا أنك ستذهبين الليلة الى المستر هارلو ؟

- نعم ، الآن ..

وبدأت عجلات ذهن النبرى فى الدوران السريع .. ان ذهاب هذه
الفتاة الى هارلو فى هذا الوقت سيفسد خطته كلها ، ويدمر .. اته ..
ويعيده اما الى أسر هارلو وظيفانه أو الى .. دارتمور

فلا شك أن هارلو سيسأل : « هل ذهبت الى النبرى لتعرضى الامر
عليه » ولا شك أنها ستجيب قائلة : « نعم .. وبهذه المناسبة رأيت
على مكتبه أكواما من الاوراق المالية لم أشهد لها مثيلا من قبل ،

وعندئذ يدرك هارلو كل شئ لان الذكاء لا ينقصه ..

وعادت عجلات ذهن النبرى تدور بسرعة رهيبه ..

وفجأة قال لها :

- ان زوجتى مريضة .. لم تغادر فراشها منذ عشرين عاما .. وان
حضورك الان مصادفة عجيبة سارة لانها سألت عنك هذا الصباح
بالذات

- سألت عني أنا ؟!

- نعم .. لأنها تعرفك وأنت طفلة ، وكانت تعرف والدك ، أو والدتك ، لست أذكر تماماً . والعجيب أنى كنت أنوى زيارتك فى مكتبك اليوم لأطلب منك زيارة زوجتى المريضة ..

- يسرنى هذا .. ولكننى وعدت المستر ستينجز بالذهاب الى المستر هارلو بعد مقابلتك مباشرة ..

- ان الوقت يتسع للزيارتين .. وسنذهب معا فى سيارة ، وسنعود بها معا . وأنا أعرف أن ما أطلبه منك شاذ بعض الشيء ، ولكن ...

- هل ألبيت بعيد ؟

فذكر لها مكانه بالتحديد ، والطريق المؤدى إليه .. ولم يكن هو حتى هذه اللحظة يدرى ماذا سيحدث بعد ذلك . أن كل همه كان مركزاً فى منعها من الذهاب الى هارلو الليلة .. بأى ثمن !
وقالت له :

- هل يمكن أن اتصل تليفونيا بالمستر ستينجز ؟

- سأتصل به أنا نيابة عنك .. وكل ما أرجوه منك يا آنستى العزيزة الآن ، هو أن تساعدى رجلاً عجوزاً مثلى على وضع هذه الرزم المالية فى هذه الحقيبة الكبيرة .. انها كلها ملك يمين المستر هارلو هارلو العظيم البازع !

فاومات برأسها ، وقالت :

- نعم .. انه بارع جداً كما يبدو !

- وهو انسان طيب القلب أيضاً ..

ولم تجب هى بشئ على هذه الملاحظة ، لأنها فى الواقع ، لم تكن تدركى هل هو انسان طيب القلب حقاً ، أو طاغية متحجر العواطف . ان كل ما كانت تشعر به نحو هارلو هو نوع من الاعجاب والمودة والتقدير .. اعجاب الفتاة بالرجل الذى استطاع أن يرفع رأسه بين ملايين الرجال !

ونسيت الحديث التليفونى مع المستر ستينجز حتى بدأت السيارة التى كانت واقفة تنتظر فى المطر أمام مكتب النبى ، فى التحول نحو شارع كنجزواى . ولكن النبى طمأنها قائلاً إن لديه تليفوناً فى

البيت • ولم يذكر لها طبعاً أن التليفون الموجود فى البيت يتصل مباشرة بقصر المستر هارلو

وانطلقت السيارة فى طريقها الى بيته رويالتون هاوس ، والافكار العنيفة تعصف برأس النبرى وهو قابع فى ركن من مقعد السيارة الخلفى ..

وامتقر رأيه أخيراً على أمر خطير ..
انه لن يسمح أبداً لفتاة مثل ايلين ريفرز أن تفسد فى اللحظة الاخيرة الخطة التى رسمها منذ اسابيع ، وان تقف بينه وبين المستقبل الوردى الذى ينتظره فى خارج البلاد ..

واقتربت السيارة من الممر المؤدى الى حديقة البيت الكبيرة ، وقبل ان تتعطف الى الممر ، طلب من السائق أن يتوقف ... ثم سلمه ثلاثة جنيهات وقال له :

– يمكنك أن تنصرف الآن .. وسوف نعود فى سيارة أخرى الى المدينة بعد أن نفرغ من الزيارة

وكانت ايلين قد هبطت من السيارة ، فلم تسمع هذه العبارة الاخيرة الموجهة الى السائق

وسار النبرى بجانبها فى الممر الطويل المؤدى الى الحديقة .. ولما وصلا اليها ، بدأ المنزل ساكناً موحشاً فى وسطها
واقترب النبرى ، وهو يتقدم الفتاة خطوة ، من غرفة الآلات الزراعية ، وهو يقول :

– هذه غرفة استراحة ، أرجو أن تنتظرى فيها قليلاً حتى أعلن حضورك لزوجتى المريضة ، لان المفاجآت تهز أعصابها الواهية ..
ولم تكن ايلين قد رأت الغرفة من الداخل وهو ينطق بهذه الكلمات الاخيرة ، ومن ثم لم يخامرها الشك وهو يفتح بابها بمفتاح معه ..
ولكنها فوجئت بمنظر الغرفة الكئيب حين أشعل النبرى شمعة كانت بها .. وقبل أن تعرب عن دهشتها ، اذا بالنبرى يتراجع بسرعة ويغلق الباب عليها بالمفتاح من الخارج ، ثم يتنهد فى ارتياح .. لقد نجح أخيراً فى الإيقاع بها !

ولتفعل الان ما تشاء .. فان الغرفة صماء تماماً ، بلا نوافذ ولا أبواب غير بابها الوحيد المغلق !

وأُسرع يجرى إلى الدرجات الامامية للمنزل ، حيث جلس يلتقط أنفاسه اللاهثة ، ويهدئ من ضربات قلبه السريعة ..

ولما هدأت أعصابه بعض الشيء ، نهض وفتح الباب بمفتاحه الخاص ودخل إلى الردهة الوسطى حيث أسرع إلى الخادم العجوز التي ترعى زوجها المريضة ، فقال لها بخشونة :

– اسرعى باحضار طاقم ملابس كاملة لي ..
بللها المطر .. عليك بعد ذلك أن تبقى مع سيدتك ، لاني سأعود إلى الخروج ، وربما أتاخر إلى ما بعد منتصف الليل

وبعد أن ارتدى طاقم الملابس الكاملة ، جلس في غرفة مكتبته برهة بجوار المدفأة .. وراح يمعن التفكير في الطريقة التي يتخلص بها من الفتاة ..

وانحدرت دموعه وهو ينهض أخيراً ويتناول – من الحديقة – البقلة الحادة التي تعود أن يحطم بها جذوع الاشجار في أوقات فراغه

وظلت الدموع تنحدر من عينيه ، وهو يتسلل في الطريق إلى غرفة الادوات الزراعية ويقول لنفسه : « لماذا يعترضون سبيلي ؟ لماذا لا يدعونني أمضى بسلام !؟ »

وفتح الباب ..

وكانت الشمعة قد أوشكت أن تزدوى وتنطفئ ..

ورفع هو البقلة إلى أعلى ودموعه تنهمر من عينيه ..

وشاهد في ضوء الشمعة الخابي وجه الفتاة الشاحب الذي جمد ملامحه الرعب والفرع



الفصل الثالث عشر

مغامرة في الظلام

كانت الامطار تنهمر بغزارة ، عندما أوقف كارلتون السيارة البوليسية في ركن حديقة هايد بارك القريب من بارك لين ٠٠ وفيما هو يغادرها مع زميله المفتش الك ، قال له :

— لقد خذلتني مصلحة الارصاد الجوية الليلة ٠٠ قالت ان الليلة ستكون خالية من الامطار والرياح ، وهاهي ذي الامطار تكاد تفرقنا ، والرياح تكاد تطير بنا ٠٠

فقال الك وهو يتناول من السيارة سلم الجبال ذا الخطاف :

— ولكن هذا هو خير جو ممكن لقضاء مهمتنا غير القانونية

وظهر من منعطف في الحديقة رجل من رجال الشرطة ، كان قد عهد اليه بمهمة حراسة السيارة ، وسرعان ما كان المفتشان يدوران حول الجدار المرتفع المحيط بقصر هارلو . وكان القصر منفصلا عن بقية القصور المجاورة له بممرات صغيرة ضيقة تشبه الحارات ، وما هي غير لحظات حتى ثبت الك سلم الجبال على جانب خلفي من السور ، واستخدمه في الصعود مع زميله الى أعلاه ، ثم سحبا معه

وكان الظلام يغمر سقف قاعة المكتبة المستديرة ٠٠ ومن ثم وصلا اليه بسهولة ، وهنا ترك كارلتون زميله الك ليتولى الحراسة ، ثم استأنف الصعود ، مستخدما سلم الجبال ، الى السطح الاعلى للقصر . وكان قبل أن يقوم بهذه المغامرة ، قد عرف كل ما ينبغي أن يعرفه من مواقع القصر . وقد استخدم في هذا السبيل طائرة صغيرة ، حلقت فوق سطح القصر في صباح اليوم نفسه ، والتقطت له صورا عديدة من أعلى . وقد كشفت هذه الصور عن وجود بناء مربع في

أعلى السطح ، يدل على أنه سقف للسلم المفضى الى السطح الاعلى .
أما نوافذ القصر كلها العليا والسفلى ، فكانت محصنة بالقضبان
الحديدية التى لاسبيل الى النفاذ منها ..

ولكن هذه القضبان الحديدية نفسها ، جعلت من اليسير على
كارلتون الصعود الى السطح الاعلى . ومن حسن حظه أنه كان فى
الجانب المحمى من الرياح ، ومن ثم لم يكن هناك ما يعوق تسلقه

وهناك ، على السطح ، رأى أن للبنية المربعة المحيطة بمدخل السلم
بابا حديديا كما توقع . وكان الباب مغلقا بقفل من النوع الذى
لا يسهل فتحه . بل لقد توقع أيضا أن يكون مغلقا من ناحية السلم
بمزلاج حديدى . وحاول أن يسمع شيئا وراء الباب ، ولكن زفير
الرياح لم يسمح له بهذا . وأخيرا راح يظوف بجوانب السطح، وقد
حرص على أن يجعل ضوء مصباحه مركزا على أرضية السطح حتى
لا يرى من بعيد

ولما لم يجد فى السطح ما يعينه على الهبوط داخل القصر ، عاد
الى بناية رأس السلم ، وتناول من جيبه كيس الادوات التى تزود بها
لهذه المهمة .. ولكنه ما كاد يدس أجنة صغيرة بين مصراعى الباب
حتى أدرك أن الألواح الخشبية مقواة بقضبان من الصلب ، وأن ثمة
مزلاج قويا يفلق الباب من ناحية السلم ..

وكان السطح من الاسمنت المسلح ، أى يحتاج الى جهد بالغ ووقت
طويل لاجداث ثغرة يمكن النفاذ منها الى أسفل

وخطر لكارلتون أنه قد يجد نافذة بلا قضبان فى جانب من جوانب
القصر ، فمضى الى حافة السطح وأطل على الجانب الذى ترك فيه
سيارته . وفيما هو يفعل هذا المحرج لا يسير بنشاط نحو باب القصر
الخارجى .. ثم فتحه ودخل .. وأغلقه بعدئذ بصوت مسموع .
وكان الواضح لكارلتون أنه هارلو .. فلم يكن ثمة انسان يسير
مختالا بهذه الطريقة غيره . ترى ماذا كان يفعل خارج القصر فى مثل
هذا الجو المضطرب ، وعندئذ خطر لكارلتون أنه كان آتيا من ناحية
جراج القصر

وسمع ساعة الميدان تعلن الحادية عشرة مساء .. فماذا تراه يفعل
الان ؟ بيد انه ليس أمامه الا العودة الى زميله الك ليعلن اليه فشله

في مهمته . ولما قرر ان يفعل هذا أخيرا ، سمع باب رأس السلم يفتح بقوة ، وصوت هارلو يتحدث .. ومن ثم أسرع كارلتون فقيع مختلفا في ركن قصي من السطح وسمعته يقول :

— انها تمطر يا صديقي ، تمطر بقوة .. وهى دائما تمطر هكذا فى لندن ، ولكننى كنت فى الخارج ، فى هذا المطر ، وكنت أنت ناعما بالدفع هنا .. يا الهى .. لشد ما تمطر
وكان هازلو يتحدث فى لهجة الانسان الشفيق وهو يتحدث الى طفل .. وقد استطرد يقول :

— هل أحضرت معك وشاحك .. حسنا ؟ أحكم أزرار معطفك ..
 ألم تأت معك بالقفاز أيضا ؟ يالك من مهمل في حق نفسك
 وسمع كارلتون الآخر يقول :

- اننى فى الواقع غير محتاج لقفاز .. ولست أشعر بالبرد ..
والآن ، هل يمكن باهارلو أن أطلب مرة أخرى ..

ولم يستطع كارلتون أن يسمع بقية الحديث ، لان الرجلين كانا قد سارا الى الناحية البعيدة من السطح . وفهم بداهة أنهما يتمشيان ، وانهما سيدوران حول السور . . . فاذا لم يكن لدى هارلو مصباح كهربائي ، فليس من المحتمل أن يلمح طرف السلم الجبلي ذى الخطاف . وتسلسل هو من مكمته ، ودار حول بناية رأس السلم ، ولم يلبث أن رآهما عائدين وقد أحنى كل منهما رأسه للرياح العاصفة ، فأسرع كارلتون الى الاختفاء عن ناظريهما . . .

وفجأة سمع هارلو يقول :

لا يمكن أن أوافق على هذا .. فانت تقرا أكثر مما ينبغي ، وأنا لا أحب أن ترهق ذهنك بكثرة الكتابة أيضا .. فكن عاقلا يا عزيزي

مارننج ! •• ان كارلتون ليكنم أنفاسه وهو يسمع هذا الاسم
•• وكان الاثنان قد اقتربا منه الآن بحيث كان يستطيع أن يتقدم
خطوتين ويبيده فيلمس أحدهما •• وكانت مصابيح الشارع تعكس
ضوءها الى أعلى ، وعلى هذا الضوء الخافت ، استطاع كارلتون أن يرى
الخطوط الأولية لهذا المدعو مارننج •• فرأى أنه

هارلو ، إلا أنه أكثر انحناء ، وله لحية كانت تهتزز مع الرياح .
وعادت أصواتهما تصل اليه ، ثم اذا صوت شيء يسقط بعيدا ،
ويجعل هارلو يقول بحدة :

— ما هذا ؟ !

وأدرك كارلتون أن ذلك الشيء الذى سقط هو السلم الحبل ،
فانتابه قلق شديد . . فقد أدرك أن الوسيلة الوحيدة لخروجه من
هذا المأزق قد ضاعت منه . . وبدا له أن هارلو أو زميله احتك أثناء
سيره بحافة الخطاف المثبتة على حافة السطح ، فسقط السلم . .
وقال هارلو وهو يطل من فوق سياج السطح :

— يخيل لى أن ذراعى احتكت بشيء كالخطاف . . ترى ما هذا ؟

وانتهز كارلتون الفرصة الوحيدة السانحة له . . فتسلل بسرعة
نحو بناية رأس السلم وهو يتوقع أن يجد بابها مفتوحا ، وقد وجد
الباب مفتوحا فعلا . . ولكن بصيصا من الضوء كان ينساب منه ،
ومن ثم أدرك أن هذا الضوء المنساب قد يكشفه للرجلين اذا هو
دخل فى نطاقه . . ولكن الرجلين كانا مشغولين بالحديث عن ذلك
الشيء الذى سقط ، وكان ظهر كل منهما نحو بناية رأس السلم ،
وكان هارلو يقول :

— انه لا أمر عجيب ! . . فلم يكن ثمة شيء هنا عندما كنا نتجول
على السطح آخر مرة

وقبلى أن يقطع كارلتون الخطوات الباقية نحو الباب ، اذا بالرجلين
يستديران فجأة ويتقدمان بسرعة نحو الباب . . ثم يدخلان منه
الى رأس السلم ويصفقه هارلو وراءه
وهكذا ضاعت الفرصة الاخيرة من يدى كارلتون . . واذا هو يمشى
وحيدا على سطح القصر بلا أية وسيلة للنجاة منه

وكان الاتصال بزميله المفتش الك مستحيلا الا اذا انكشف أمرهما
. . ومن ثم تناول مفكرته ، وكتب رسالة سريعة على ورقة منها ،
ثم انتزعها ولفها حول قطعة نقود برونزية واسقطها فى المكان الذى قدر
أن يكون قريبا من الك بحيث يسمع رنين قطعة النقود حين تسقط
بالورقة . . ولكن المحاولة باءت بالفشل

وعاد يحاول فتح باب بناية رأس السلم مرة أخرى . . وهو يترقب

فى قرارة نفسه أن هذه المحاولة لاجدوى منها أيضا . ولكن نشد ما كانت دهشته حين وجد الباب يفتح ! .. ترى هل نسى هارلو عند انصرافه بسرعة ، إن يفتح الباب بالمفتاح والرتاج ؟ ليس هارلو هو الذى ينسى شيئا كهذا ! ..

وأطل كارلتون فى حذر الى أسفل ، فرأى لمحة من دهليز شبه مظلم ، وجانباً من سجادة حمراء . وأخيراً راح يهبط درجات السلم بحذر شديد ، ولم يصدر عن درجات هذا السلم صرير تحت ثقل جسمه .. فلما وصل الى الدهليز ، رأى باب غرفة مفتوحاً ، وفى داخل الغرفة كان ثمة مكتب كبير بجوار ستائر النافذة، وسرير أنيق

فاخر فى الجانب المواجه للمكتب ، ومصباح قراءة يرسل ضوءاً هادئاً . فدخل كارلتون هذه الغرفة ، وأطفأ المصباح . ومن ظلام الغرفة ، استطاع أن يرى خارج بابها بصيصاً من الضوء ينساب من مكان ما فى الدهليز . فأطل برأسه خارج الباب حيث رأى فى مواجهته أول درجات السلم المؤدية الى الطابق الارضى .. وعلى يساره - فى طول الدهليز - ملح باباً آخر مغلقاً ، ولكن المفتاح فى ثقب القفل . وأحس فى أعماق نفسه أن هناك من يعرف بأمر وجوده فى البيت ، وأن شركاً ينصب للابقاع به . ومن ثم رأى كارلتون أن فرصته الوحيدة هى العمل بسرعة وجراحة .. فوثب الى الدهليز ، وأدار المفتاح فى القفل ، وسمع شهقة مكتومة داخل الغرفة ، جعلته يبتسم وهو يسير على أطراف أصابعه ليهبط السلم

وكان الطابق الاسفل غارقاً فى الظلام ، فلم يسهه الا الاستعانة بمصباحه الكهربائى الصغير ليستدل على مواقع قدميه حتى لا يصطدم بشيء أو يقع فى شرك آخر .. ولما وصل الى الردهة الكبيرة الواقعة أمام قاعة المكتبة الفاخرة ، شعر بالاطمئنان لقرب نجاته بالخروج من القصر

وتسلل نحو الباب الخارجى الواقع فى نهاية الردهة .. وما أن مد يده الى مقبضه حتى دفع الى الوراء وطرح على الارض .. كأنما أصيب بصدمة رهيبه من حيث لم يتوقع !

وظل راقداً ، لاهت الانفاس ، مشلول الحركة من أثر الصدمة .. ثم سمع فى الطابق الاعلى صوت باب ينفتح ، وهمسات شخص ما ..

وأدرك أنه لو عاود إمساك مقبض ذلك الباب المشحون بالكهرباء ، فسوف يقضى نجه مصعوقا بالتيار الكهربائي . ولكنه أدرك أيضا أن التيار الكهربائي الذى يجعل مقبض باب القصر مصيدة لاي شخص غريب يحاول الدخول بغير اذن ، لابد أن يكون له مفتاح يقطعه أو يوصله عند الطلب . وقد لمح من مكانه زرين أبيضين بارزين من الجدار بالقرب من الباب ، وذلك رغم أن مصباحا واحدا خافت الضوء كان يبدر بعض ظلام الردهة . . اذن لاشك أن الزر أو المفتاح الثانى هو الخاص بالتحكم فى التيار الكهربائي المتصل بمقبض الباب . وضغط على الزر ، فلم ينطفئ مصباح الردهة الخافت . . وعندئذ مد يده بحذر شديد نحو مقبض الباب ، ولما لمس برفق لم يشعر بالتيار الكهربائي ، فأدرك أنه كان مصيبا فى حدسه . . ففتح الباب بسرعة ، وأعلن للجميع عن نجاة حين صفقه ورآه صفقة مدوية ، وانطلق يجرى الى السيارة حيث رأى الك يتحدث باهتمام مع الشرطى الحارس . وما أن رآه الك حتى قال له :

— كنت أنوى الآن أن أدور حول القصر لارى ماذا حدث لك . .

— هل تلقيت رسالتى ؟

— آه . . هل كانت رسالتك ؟ . . لقد سمعت شيئا يسقط ، وطننته السلم الحبلى ، ولكننى لم استطع أن أتبين مكانه فى الظلام وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بكثير ، عندما وصلت السيارة بهما الى ادارة اسكتلانديارد . وكان أول شخص رآه كارلتون هناك ، هو ضابط المباحث الشاب براون المكلف بحراسة ايلين ريفرز

وهوى قلب كارلتون بين ضلوعه حين وقعت أنظاره عليه بمفرده ، ومن ثم سأله ملهوبا :

— ماذا حدث ؟!

— ان المس ريفرز لم تعد الى مسكنها عقب انصرافها من مكتب المستر ستيبنجز . . ولما اتصلت به تليفونيا ، قال إنها غادرت المكتب فى الساعة السادسة مساء لتسلم رسالتين : الاولى الى المحامى النبىرى والثانية الى المستر هارلو . فاتصلت تليفونيا بالمحامى النبىرى فقال لى انها سلمته الرسالة بعد السادسة بقليل وانصرفت ، ولم يرها

بعد ذلك ..

وراح كارلتون يفكر بسرعة ، وفجأة هتف الك قائلا :

- لقد جاء قبل الحادية عشرة .. يا الهى ، لقد نسيت هذا

- ماذا تعنى ؟

- أعنى الوقت الذى مر فيه بسيارته أمامنا فى طريقه الى الجراج .

لقد كان فى مقدورى أن أرى السيارة ، وأنا واقف على سطح قاعة المكتبة . ولم تكن هذه السيارة من بين سياراته ، ولم أعرف أنه

هارلو الا بعد أن ظهر عند البوابة فى نهاية الفناء الخلفى . وأذكر أنه أمضى فترة طويلة فى الجراج كذلك ، وأراهن ..

وأسرع كارلتون بالعمل ..

وفى الساعة الثانية صباحا .. وبينما كان المليونير هارلو يدخل

سيجاره الاخير فى ذلك اليوم ، أقبل عليه كارلتون والك وهما

مسلحان بأمر تفتيش رسمى ..

وقال هارلو وهو ينهض واقفا ، ويعيد أمر التفتيش الى كارلتون

بعد أن اطلع عليه :

- ما الطف هذا ؟ هل تسمح وتسلمنى يوما ما نسخة من أمر

التفتيش هذا لاحتفظ به كتذكار رائع ..

فقاطعه كارلتون قائلا بحدة :

- لاداعى لهذا الحديث يامستر هارلو .. أننى لم آت لاقبض

عليك بسبب ما ارتكبته فى حق السير جوزيف ليتون وزير الخارجية،

أو بسبب مقتل المسز جيبنز

فغمغم هارلو قائلا :

- يبدو أنك رحيم بقدر ما أنت شديد البأس .. ان كلمة «قتل»

لايجوز أن تلقى جزافا هكذا ..

وكان وجه هارلو شاحبا ، وقد بدا لكارلتون أن خطوط القلق

ارتسمت عليه فى الايام الاخيرة ..

وسمع الجميع صوتا جافا أجش يقول :

- ما هذا الحديث عن القتل ؟

واستدار كارلتون بسرعة ليرى فى مدخل الباب المسز أدوينز

واقفة بعودها الصلب ، وقوامها الفارغ ، وكانت تلك أول مرة يراها

فيها ، ولكنه استطاع أن يعرفها عن طريق وصف ايلين لها وحديثها عنها . وكانت منتصبه في وقتها ، عاقدة يديها أمامها . . . وكادت عيناها تقدحان بالشرر ، وهي تقول :

— ما هذا الحديث عن القتل ؟ ومن هذا الذي قتل ؟ ! اننى أحب أن أعرف

فأشار هارلو اليها بالانصراف قائلا :

— لاشأن لك بمثل هذه الاحاديث يالوسى ادوينز

وحملت المرأة في وجهه بسخط يكاد يبلغ الكراهية ، ثم استدارت وانصرفت دون أن تنطق بكلمة أخرى

وعاد هارلو الى كارلتون ، وقال له :

— والآن ، ماذا تتوقع أن تجد في بيتي يامستر كارلتون ؟ لاشك أن الامر على جانب كبير من الاهمية

— لسوف اكون صريحا معك ياهارلو . . اننى أولا وقبل كل شيء اريد أن أعرف مكان ايلين ريفرز التى جاءت الى هنا في وقت ما هذه الليلة ، تحمل رسالة من رئيسها اليك . ومنذ ذلك الحين لم يرها أحد

فقال هارلو دون أن يبتسم :

— أحقا ؟ . . أتعنى أنك انت الذى لم يرها . . و

— انتظر . . اننى لم أفرغ بعد من حديثي . . لقد شـوهدت سيارة تتحرك من أمام مكتب المحامى النبرى فى شارع تيوبولدرد فى منتصف الساعة السابعة مساء وقد كانت ايلين ريفرز فى هذه السيارة . . فماذا حدث لها بعد ذلك ؟

فحدق هارلو فى وجه كارلتون بنبات ، وقال :

— أرى اننى فى غير حاجة الى الاجابة على هذا السؤال . . ويمكنك أن تعرف الاجابة بنفسك

ثم تناول من درج مكتبه مجموعة من المفاتيح ، وقدمها الى كارلتون قائلا :

— هلم فتش كل غرفة فى البيت ، وعندئذ يمكنك أن تعرف الاجابة على سؤالك

ولم يكن ثمة حاجة بكارلتون لان يطيل البحث فى قاعة المكتبة ،

وهكذا سرعان ما صعد على درجات السلم مع الك الى الطابق الاعلى حيث
وجدا هارلو فى انتظارهما أمام باب المصعد الكهربائى الصغير
وأشار الى باب احدى الغرفتين الواقعتين على الدهليز وقال :
- هذا باب غرفة مديرة البيت ، وهو نفس الباب الذى أغلقتـه
بالمفتاح يامستر كارلتون منذ ساعتين تقريبا
وأشار كارلتون الى باب الغرفة الاخرى . وقال :
- وهذه ؟

وفتح هارلو الباب .. فاذا كارلتون يجد نفسه فى الغرفة التى
دخلها حين هبط من السطح واطفا فيها مصباح القراءة ..
وهز كارلتون كتفيه ، وقال :
- هلم الى السطح ...

ولكن تفتيشه الدقيق للسطح كله ، فى ضوء مصباح كهربائى
قوى ، لم يأت بشئ . ولما عاد الى هارلو الواقف بباب رأس السلم ،
سمعه يقول فى لهجة لاتخلو من تهكم :
- ألم تجد سلما سريا هنا أو هناك ؟ أن مثل هذه السلالم السرية
من المعالم المعروفة فى قصور باريك لين
ولم يجب كارلتون على هذه الملاحظة الساخرة ، وراح يجرى
تفتيشا دقيقا فى كل غرفات القصر .. ولكنه لم يعثر على أثر لايلين
ريفرز أو للرجل ذى اللحية الذهبية
ولما هبطوا جميعا الى ردهة الطابق الاول ، قال كارلتون :
- لاشك أن فى القصر مخازن للشراب والطعام .. أحب أن
أفتشها !

وفتح هارلو بابا صغيرا فى جانب الردهة يؤدى الى ممر طويل
مرتفع السقف . ومن هذا الممر وصل الجميع الى المطابخ ، وإلى قاعة
الخدم ، ثم الى مخازن الطعام والشراب . وقال كارلتون فى شك وهو
يعبس مساحة المخازن بنظراته
- ان هذه المخازن لاتتخذ امتدادها الطبيعى !!

فقال هارلو فى شئ من الضجر :
- لا توجد فى القصر سخازن أخرى .. فما أشد ارتياك فى أمرى
ياعزيزى كارلتون .. أتعب أن تفتش جراج السيارات ؟

وتبعه كارلتون الى الردهة الخارجية ، وهو يشعر أن الرجل
يتلاعب بهم جميعا ، ولكنه لم يحفل بهذا كثيرا
وفجأة قال له :

– هارلو : أين ريفرز ؟ يخيل لى من لهجة صوتك أنك تعرف
مكانها

– إذا سمحت لى أن أمضى بك الى رحلة قصيرة ، فانى أعدك بأن
أضع حدا لكل متاعبك

ووقف الرجلان وجها لوجه .. وفجأة قال كارلتون :

– حسنا ! .. هلم الى الجراج

وفى الجراج ، فتح هارلو باب السيارة الكوبيه ليركب المفتشان
الك وكارلتون ، ثم أغلق الباب عليهما .. ومضى الى مقدمة السيارة،
واحنى كانما ينوى أن يدير محركها ، ثم سار متمهلا الى جدار
جانبى ورفع يده ، واذا الجراج كله يصبح فى ظلام دامس

وأدرك كارلتون الخدعة ، فوثب الى باب السيارة .. ولكنه وجده
مغلقا بالمفتاح من الخارج .. وفيما هو يحاول فتح زجاج النافذة ، اذا
به يسمع زفيف الة متحركة . واذا السيارة تهبط ببطء فى أرضية
الجراج . وظلت فى هبوطها حتى وصلت الى أرضية منحدره ،
فأنسابت فيها ثم اصطدمت بجدار مبطن بالمطاط

ولما خرج كارلتون وصاحبه من نافذة السيارة ، رأى الجانب
الذى هبط من أرضية الجراج يرتفع بسرعة ثم تنطلق الفجوة ، واذا
بالمفتشان فيما يشبه سحبا أرضيا مغلقا من جميع الجوانب

وأضاء كارلتون مصباحه الكهربائى القوى وراح يفحص جوانب
الجب فرأى فيه سيارتين أخريين .. كانت أحدهما من النوع المأجور
وكانت الاحوال اللينة لا تزال عالقة بها . وأدرك المفتش أنه مع زميله
فى أحد هذه الجراجات السرية الارضية التى يستخدمها الاغنياء
عادة فى قصورهم .. وفى نهاية الجراج السرى ، رأى بابا حديديا
صغيرا مغلقا بمزاليج من الحديد . وخطر لكارلتون أن هذا الباب
يفضى الى مستودعات الوقود ..

وقال لالك ، وهو يتسسم فى شحوب :

– ما رأيك فى حماقتنا ياالك ؟

فابتسم الك ، وقال :

- الواقع اننى لم اكن اتوقع أن تأتي النهاية بهذه السرعة !
- النهاية ؟

- نعم .. ولكنها ليست نهايتى أو نهايتك ، وانما نهاية هارلو ..
هذه الحماقة التى ارتكبها هارلو معنا دليل على أنه انتهى تماما ..
- ليس هذا رأيى يا الك ، اننى أعرف هارلو تماما .. فلانزال
فى جمعته دعابة تجعل الجميع ينفجرون ضاحكين من ادارة
اسكتلانديارد ..

وتوقف عن الحديث فجأة ، والتفت مع صاحبه الى الباب الحديدى
الصغير حيث سمع الاثنان بوضوح ضربات واهنة عليه ، جعلت قلب
كارلتون يهوى بين ضلوعه
وقال الك :

- يوجد شخص ما وراء هذا الباب .. هل يتخذ هارلو من هذا
الجراج السرى جبا لسجن أعدائه !

وانهفح نحو الباب ، ورفع المزاليج للحديدية عنه ، ثم فتحه بقوة
وهنا تقدم نحوه رجل مترنج الخطوات ، مضطرب السمات ، متهدل
الثياب .. ولم يعرفه كارلتون لأول وهلة ، ولكنه لم يلبث أن هتف
حين أمعن النظر اليه :

- عجباً ! .. إنه النبرى .. ماذا دهاه !

وكان التغير الذى طرأ على الرجل ، منذ رآه كارلتون آخر مرة ،
كبيراً جداً .. وقد بدا وجهه فى شحوب الموت .. ويداه ترتعدان
بشدة ، وعيناه زائفتان يطل الرعب من أعماقهما ، وهو يتلفت
حوله ويهتف قائلاً :

- أين هى ؟ .. ماذا فعل بها ؟ ..

فقال كارلتون فى جزع شديد :

- من هى ؟ .. المس ريفرز !

فحلق النبرى اليه كأنما تذكر صوته ، ولكنه لم يستطع أن
يتعرف عليه ، ثم استطرد يقول بصوت هامس :

- الفتاة التى تعمل فى مكتب ستينجز

ثم طوح الرجل المضطرب ببلمة وهمية بين يديه ، وأردف قائلاً

بجنون :

- طاح .. قتلها !

واعتمد كارلتون بكفه الى الجدار حتى لا يسقط اضطرابا وفزعاً
وقال :

- قتلها ؟ !

- نعم ..

- أين ؟

- فى حديقة بيتى .. والقى بجثتها فى البركة الاسنة الواقعة
خلف الحديقة .. انه هارلو اللين .. كان متنكراً فى هيئة سائق
السيارة المأجورة .. لم أعرفه ، لانه كان يضع فوق شفته العلياشاربا
أسود كثيفا .. وكان يقود السيارة بى طيلة اليوم .. من يصدق
هذا ؟ !

- فوضع الك يده برفق على كتف ألنبرى ، وقال له :

- اسمع يامستر ألنبرى ، هدى أعصابك .. أن أحدا هنا لن
يؤذيك ، أتقول انه قتل المس ريفرز ؟

- نعم .. بالبلطة ، ببلطتى .. لقد رأيته مقتولة فى غرفة
الآلات الزراعية بحديقتى .. وكانت شاحبة ، وجميلة ، ورأيتة وهو
يقتلها ، ولكننى عدت الى البيت حتى لا يقتلنى معها .. يا الهى .. ان
رؤيتها فى تلك البركة الاسنة ، وآلاء الاخضر فوقها ..

وأخفى الرجل وجهه بين يديه ، كأنما يرى أمامه شيئا مفزعاً ..
وقال كارلتون بصوت أجش :

- ألم ترها مرة أخرى ؟

- نعم ، رأيته ..

- أين ؟

- فى الجزء الخلفى من السيارة .. لقد كوم جثتها فى هذا الجزء ،
وعاد بى الى المكتب ، واسترد الاموال كلها ووضعها فى الحقيبتين ،
ثم عاد بى الى هنا ، وكان يزعم لى أنه سيمضى بى الى رحله ، ولكنه
كان كاذبا ..

وهنا قال الك لكارلتون :

- اسمع يا جيم .. ان هذا الرجل قد فقد عقله

فضرب النبرى على صدره ، وقال مجنون :
- أتقول انى مجنون .. أنا مجنون ؟ لقد جاء بى الى هنا ، ولكننى
رأيتُه وهو يحملها الى الطابق الاعلى من قصره حيث المرأة العجفاء
العجوز والرجل ذو اللحية الذهبية . لقد أرغمونى على الهبوط الى
هذا المكان ، ثم تركونى وصعدوا .. أنظر ..
وتقدم الرجل المفتشين الى غرفة صغيرة وراء الباب الحديدى ،
وكانت الغرفة تحتوى على سرير لشخص واحد ، وسجادة ، وخزانة
ملابس ..
وفتح النبرى باب خزانة الملابس ، وأخرج منها كومة ملابس
رجل : قميص أبيض مكمش ، وسترة لبذلة سهرة من المخمل
الاسود ..
وهتف كارلتون ، وهو لا يكاد يصدق عينيه :
- هذه ملابس السير جوزيف ليتون ، وزير الخارجية !



مفاجآت

وهمس النبرى قائلا ، وكأنما يخاف ان يسمعه احد :
- كانوا يحتفظون به هنا ..

وقبل أن يقول كارلتون شيئا ، اذا بالنبرى يتعلق بخزانة الملابس
ويبدل جهده في زحزحتها ، فأسرع الك يعاونه في هذا المجهود ..
واذا الخزانة تنزحزح لتكشف وراءها عن باب مستطيل ، وإذا
النبرى يشير اليه قائلا :

- لقد جاءوا بى من هذا الباب ، عن طريق المصعد ..
فارهف الك السمع ، ولم يلبث أن سمع حفيف المصعد في
صعوده وهبوطه ، بينما قال كارلتون بصوت أجش :
- الى اين حملوا الفتاة ؟ لقد فتشنا القصر غرفة غرفة :
- فى غرفة المسز ادوينز ! ان فيها خزانة ملابس كبيرة ، ولكن
في داخلها بابا سريا صغيرا يؤدي الى غرفة صغيرة .. لماذا لم يتركوها
فى البركة الأسنة ؟

وتلفت الك حوله وقال :
- علينا أن نبحث عن مخرج من هذا المكان ، والا فسوف تؤدي
دعابات هذا المليونير اللعين الى ارتداء أهل ملابس الحداد على
وحاول ان يتسلق احدى اسطوانات الآلة المتحركة لارضية
الجراج ، وأخيرا استطاع - بمساعدة كارلتون - أن يصل الى
السقف ، ولكنه وجده من الصلب والاسمنت المسلح ، وليس فيه
نفرة واحدة يمكن النفاذ منها

وبدا لهم ان الباب السرى الصغير وراء خزانة الملابس هو المنفذ
الوحيد الذى يمكن لهم استخدامه للنجاة ..

وراح الك يبحث في درج آلات اصلاح السيارة ، وهو يقول :
- الم تلاحظ ياكارلتون اننا لم نر المرأة العجوز مرة اخرى ، بعد
ان انصرفت من قاعة المكتبة .. رغم اننا فتشنا البيت غرفة غرفة ..
= هذا ماخطر لى الآن ، ولكننى فهمت السر ... لا شك
ان اللعين كان يستخدم المصعد فى تهريب من لديه صعودا او هبوطا
دون ان نغفلن الى هذا

وبدا المفتشان يستخدمان آلات اصلاح السيارة فى زحزحة الباب
السرى ، ولكنهما وجدا فى النهاية ان من المستحيل فتحه . ولم
يبق امامهما الا ان يفتحا ثغرة فى الجدار الاسمنتى ينفذان منها
ومن حسن حظهما ان الجدار لم يكن مشيدا من الصخر الاصم ،
وانما من قوالب الاجر المثبتة بالاسمنت

وكان العمل شاقا ، ولكنهما لم ييأسا .. فظلا يعملان ساعة بعد
ساعة حتى خلخلا القالب الاول وانزعاه من مكانه ، وبعد ذلك أصبحت
خلخلة القوالب التالية أسهل نسبيا ، وهكذا تمكنا فى النهاية من
فتح ثغرة فى السقف نفذ منها كارلتون أولا ليجد نفسه فى غرفة
الآلات المحركة للمصعد الصغير داخل القصر

وفجأة سمع صوت هارلو فوق رأسه ، وهو يقول :

- دعيهم وشأنهم .. ان فى امكانهم الانتظار حتى الغد

ولحق به الك .. ونظر الاثنان الى قاعدة المصعد ، فوجداها
مرتفعة بأكثر من عشرة أقدام ؟ ومن ثم صعد كارلتون على كتفى
زميله ، وتعلق فى الحبل السلكنى السميك الذى يرتفع بالمصعد
ويهبط به ، ثم ظل يتحسس يديه حتى عثر على مقبض الآلة التى
ترفعه الى أعلى ، ولما حاول ان يحركها سمع فجأة وقع أقدام
ثقيلة تدخل المصعد .. وقبل ان يطلق قبضتيه ليعود الى زميله
الك ، اذ به يجد المصعد يرتفع وهو لا يزال معلقا فى قاعدته من
الجهة السفلى

وتوقف المصعد فى الطابق الاعلى .. وكاد كارلتون ان يسقط
عند توقف المصعد المفاجيء ، ولكنه استعان بحبال المصعد فى الثبات
ثم نظر الى باب المصعد المؤدى الى الطابق الذى يلى الاعلى مباشرة ،
فوجد أنه - اى الباب - قصيرا ، بحيث توجد فى اعلاه فتحة

مستطيلة ارتفاعها نحو ثلاثين سنتيمترا .. فقرر أن يغامر بالوثوب الى هذه الفتحة والخروج منها الى الطابق الذى يلى الأعلى . وذلك رغم ادراكه التام ~~بأن~~ المصعد اذا تحرك هابطا قبل أن يخرج هو من الفتحة العليا للبواب ، فيوف يمزق جسده فورا !

وفى قفزة بارعة ، وصل الى حافة الباب ~~فمسك~~ بها ، ثم حمل نفسه وتسلسل من فتحته العليا .. وهبط الى الطابق الاوسط ، الذى يلى الأعلى ، وراح يزحف صاعدا على درجات السلم حتى كاد أن ينكشف أمره للمرأة العجوز الطويلة التى كانت واقفة فى الدهليز واضعة اذنهما على ثقب الباب تسترق السمع . وكانت ثمة دورة فى الدرجات تفصل كارلتون عن الدهليز ، وقد شعر وهو قابع فى مكانه ان هذه الغرفة التى وقفت المرأة على بابها تسترق السمع ، هى نفس الغرفة التى تضم ايلين ريفرز حية أو ميتة . وكان صوت هارلو ينساب منها واضحا ، وهو يقول :

— هذه حركات مسرحية سوقية يا عزيزى .. وهذا ما يفضبنى منك ، فمن الحماسة أن تكتب رسائل الاستغاثة على بطاقة زيارة ، وبدبوس .. ولو كنت أعرف ، اذن لما ..

وقطع الصوت هنا بغمضة انسان يحاول أن يعتذر بحماس ، وفجأة انطلقت ضحكة هارلو وهو يقول :

— حسنا .. حسنا .. انك غبى يا عزيزى .. هذا كل مايمكن أن اقله لك . عليك ألا تفعل هذا بعد ذلك أبدا ، فمن حسن حظك ان رجال البوليس عجزوا عن قراءة جميع الكلمات

وكان كارلتون قد نسى — فى لهفته على ايلين — وجود الرجل ذى اللحية الذهبية فى البيت . وفجأة سمع الباب يفتح ، فأسرع بهبط درجات السلم حتى وصل الى ردهة الطابق الاسفل ، وهناك وجد ساعة الجدار تشير الى الخامسة صباحا

وسمع حفيف المصعد وهو يهبط ، ثم رأى بابه يفتح ويخرج منه هارلو ويمضى الى قاعة المكتبة ، ويفلق بابها وراءه وفى لمح البصر ، وثب الى باب المصعد ففتحه ودخل ، وأغلقه وراءه . ثم ضغط على الزر الأعلى ، وقد قرر فى نفسه أن يعثر على ايلين ريفرز بأى ثمن .. أن يعثر عليها حية أو ميتة !

وما أن وصل المصعد الى الطابق الاعلى حتى حدث شيء .. وظل كارلتون يضع ثوان وهو لا يفهم ما حدث على وجه التحديد . فقد انطفأ مصباح المصعد المثبت في سقفه ، ورأى في اسفل شيئاً يومض كأنه شرر نار

وحاول أن يفتح الباب الحديدي للمصعد المؤدى الى الطابق الاعلى ، فوجده لا يتحرك من مكانه .. فراح يضربه ويركله ، ولكن الباب كان من الصلب المطروق

وهكذا وجد نفسه ، في خلال ثلاث ساعات ، سجيناً مرة أخرى وراح يغمغم باللعنات على نفسه ، وهو يسمع صوت باب القصر الخارجى يفتح ، ثم اذا بالسكون التام يخيم على جوانب القصر .. وصاح كارلتون منادياً :

– الك !

وسمع من بعيد صوت الك يقول له :
– لقد قطع التيار الكهربائى عن المصعد ، هل تستطيع أن تخرج منه بطريقة ما ..

– سوف احاول ..

وكان باب غرفة المسز ادوينز فى مواجهته وهو سجين المصعد ، فلما نظر اليه .. فوجيء بقبضة المزالج تتحول .. تتحرك ببطء شديد .. وتساءل فى نفسه : « ترى هل تركها هارلو وراءه وهو يفر من القصر ؟ »

وفجأة رأى ايلين تخرج من الغرفة بعد أن فتحت بابها .. وهتف بصوت مختنق من فرط التأثر :

– ايلين !

فنظرت اليه ، وأسرعت الى باب المصعد ، وهمست بجواره :

– جيمى .. ! عد بى الى البيت ..

فقال وهو لا يكاد يصدق عينيه :

– ولكن من الذى ارغمك على المجيء الى هنا ! ..

– لقد جئت بمحض ارادتي .. أوه جيمى ياله من انسان لطيف وتأوه كارلتون فى سجنه ، وقال :

— يا الهى ؟ .. يبدو انها تحيه !



قبل عشر ساعات تقريبا من هذه الاحداث ، كان هارلو — المتنكر
فى هيئة سائق سيارة مأجورة — قد وجد نفسه فى موقف حرج
بين رجل فقد عقله تماما ، وفتاة حسناء مغشى عليها تماما ..

أما الرجل ، فهو المحامى النبرى ..

وأما الفتاة ، فهى ايلين ريفرز ..

وكان قد تسلل وراء النبرى حين رآه يسترق الخطأ فى الحديقة
حاملًا بلطة تقطيع الاخشاب .. ولما رفع هذا ذراعيه بالبلطة ليهوى
بها على رأس الفتاة المرتعدة ، اهوى هو بقبضته على رأسه ، وانتزع
البلطة من يده والقى بها بعيدا ، ثم اسرع وحمل باحدى ذراعيه
الفتاة المغشى عليها ، وباليدي الاخرى أمسك بخناق النبرى ورفعها
عن الارض . وطوف هذا بعينيه المجنونتين ، وقال مندهشا :

— لقد ضربتني على رأسى ، اليس كذلك ؟

— انك ما زلت على قيد الحياة .. وهذا يعنى انى لم أضربك

كما ينبغي !

— ولكنك تنوى أن تخنقنى .. اليس كذلك ؟ !

— أمض أمامى أيها السفاك ..

وكان الواضح ان المائة والاربعين رطلا من الجسم الانثوى لم
تكن بالعبء الثقيل على هارلو المتنكر فى هيئة سائق سيارة . ولما
وصلوا الى السيارة ، وضع هارلو الفتاة المغشى عليها فى المقعد
الخلفى ، وجلس الى مقعد القيادة .. واجلس النبرى المرتعد
الذاهل بجانبه ، وانطلقا عائدا الى المكتب فى ثيوبولد رود ، وهناك
بدأت ايلين تفتق وترى « السائق » وهو يعيد رزم الاوراق المالية
الى الحقيبتين الكبيرتين ، وفجأة تبينت حقيقة شخصية السائق
رغم شاربه الذى كان يرتفع وينخفض أثناء حديثه كشارب القندس !
وكادت ان تضحك عاليا .. ولكنها كتمت الضحك لانها كانت
تعرف ان الانفجار فى الضحك فى هذه الحالة هو بداية الانهيار
العصبى ، على انها لم تتمالك نفسها من القول :

— شكرا لك على انقاذى يامستر هارلو ..

وحملق النبرى بعينيه المجنونتين فى وجهه هارلو ، ثم هتف بصوت مختنق :

— اذن فانت هارلو .. هارلو العظيم ها ها ها .. كان هارلو العظيم هو سائق سيارتى طيلة اليوم .. ها .. ها .. ها !
ورغم ان هارلو أدرك تماما ان النبرى فقد البقية الباقية منا عقله ، فقد قال بهدوء :

— نعم .. انا هارلو .. هارلو العظيم ، بارون بارك لين المزيف .. هذا عنوان جيد لكتاب عن تاريخ حياتى اذا أردت ان تكتبه يوما .. وابتسم لايلىن ابتسامة لطيفة .. فابتسمت له ، ثم استطرد قائلاً :
— ان آرثر انجل سيرحل غدا بفنائمه الى أوروبا ، بعد ان استخرجت له جواز سفر باسم روبرت جاكسون . وسوف أساعدك على السفر أيضا غدا أو بعد غد على الأكثر يامستر النبرى ، بعد ان أمنحك احدى هاتين الحقيبتين مكافأة لك على ماقدمته الى من خدمات . ولكننى مضطر الآن لان أحتفظ بك فى مكان سرى حتى لا تقع فى يد كارلتون وتضطر الى الاجابة على اسئلته الدقيقة . اما أنت يامس ريفرز ، فما رأيك ؟ هل ستأتين معى الى القصر ؟
— نعم ، لان لدى رسالة يجب ان اسلمها اليك ، وهى من طرف المستر ستينجز

وعاد المليونير يتسم لها ، ويقول :
— مارايك فى نصف مليون جنيه وضعتها باسمك فى بنك انجلترا ؟
فحسبته يمزح .. ومع ذلك قالت له ، وهى تهز رأسها :
— اننى لا اومن بان السعادة الحقيقية فى المال ..
فاوما برأسه ، وقال بوقار : صدقت .. !

٢١

قالت ايلين هذا كله لكارلتون بعد ان استدعت احد رجال الشرطة لانقاذه من المصعد ، وانقاذ صاحبه الك والنبرى من الجراج السرى وكانت تركب معه سيارة مأجورة فى طريقها الى مسكنها .. وبعد ان فرغت من حديثها ، قالت :
— انه لطيف جدا يا جيمى ، ولا اظن انك ستستطيع القبض عليه ، ولكن اذا حدث وقبضت عليه ، فلا تدعه يفلت من يديك ..

ونما اقتحمت قوة من رجال الشرطة - بعد ساعة من الاحداث السابق ذكرها - قصر هارلو في بارك لين ، لم يجدوا فيه غير المسز أودينز العجوز التى قالت لهم فى لهجة تحد ، وهى تعقد يديها على صدرها :

- لقد رحل هارلو الى الريف فى هذا الصباح ..

ورغم التفتيش الدقيق الذى اجرته الحملة البوليسية فى جوانب القصر ، فانهم لم يجدوا اثرا للمليونير ، ولا للرجل ذى اللحية الذهبية !

وقالت العجوز ساخرة :

- اقبضوا على .. فاننا الآن بين ايديكم ، ولكنكم لن تستطيعوا القبض على لوميل ..
- لوميل ؟ !

وادركت انها اخطأت رغما عنها ، ولكنها أسرعت تقول :

- كنت اسميه لوميل منذ الصغر .. وثنا اسميه الان لوميل ، وسوف يحطم كل واحد منكم على حدة !
وظلت تمغم بكلمات التهديد حتى وصلت الى مركز البوليس



كان هارلو يحتفظ بمسكن فاخر فى قلب لندن ، لا يعرف أحد عنه شيئا .. ذلك أنه كان يدرك فى قرارة نفسه ، أنه سوف يحتاج يوما الى الانعزال فى مسكن كهذا حتى تهدأ الضجة التى يثيرها . وكان قد استأجره باسم مستعار ، وجعل بائع اللبن وبائع الصحف يضعان سلتيهما فى كل صباح بانتظام امام باب المسكن ، حيث كان يرسل سائق سيارته الخاص بانتظام أيضا ليتخلص منهما

وكان المسكن فى الداخل انيقا فاخرا ، مزودا بكل ما يخطر ببال انسان يريد أن يعيش فيه بضعة اسابيع دون أن يفادده لحظة واحدة . وقد قرر هارلو الفرار الى هذا المسكن عندما سجن المفتش كارلتون فى المصعد ، اذ أدرك فى تلك اللحظة فقط ، أن « دعاياته » قد انتهت به الى أحد امرين : اما الاستسلام لرجال الشرطة ، او الهرب نهائيا ..

وفيما كان كارلتون يحاول فتح باب المصعد - أرسل هارلو صغيرا خافتا .. وسرعان ما ظهرت المرأة العجوز من باب جانبى

فى الردهة ومعها الرجل ذو اللحية الذهبية ..

وقال هارلو له بصوت عذب :

- مارلنج .. اننى سامطى بك فى رحلة لطيفة قصيرة .. لقد كنت دائما عبثا ثقيلا على ، ويوشك هذا العبء أخيرا أن يكسر عنقى !

وقالت المرأة العجوز فى اضطراب لأول مرة :

- الى أين انت ذاهب ؟

فحجبها بنظرة طويلة ، ثم قال :

- لقد وصلنا الى آخر الشوط .. وانى لاشعر فى أحيان كثيرة بأنى أخطأت فى اتباع رأيك .. ان المال ليس كل شئ فى هذه الدنيا ..

وقال مارلنج مرتعدا :

- أرجو إلا أكون قد أسأت اليك فى ..

فقاطعه هارلو مسرعا ، وبصوت كله مودة وعطف :

- لا .. لا .. أبدا يا صديقى ، لقد قلت لك كثيرا .. وأقول لك

الآن ، انك دائما فى أمان معى ، فانت ضحية ظروف خاصة ، وعاجز تماما عن ارتكاب أى خطأ فى حق الغير . وانى لأفضل الموت عاجلا على ان ادعك تتألم لحظة واحدة ..

وقاطعته العجوز قائلة فى حدة :

- وماذا افعل بتلك الفتاة ؟!

- دعيها وشأنها .. أعيديها الى أصدقائها فى أقرب فرصة .

والآن ساعدى المستر مارلنج على ارتداء معطفه ، فان الجو عاصف فى الخارج

وغادر هارلو ومارلنج القصر ، وسارا نحو مائتى متر قبل أن يستقلا سيارة مأجورة ، هبطا منها قبل موقع المسكن الخاص بنحو مائتى متر أيضا

وقال هارلو بعد ان وصل مع صاحبه الى ذلك المسكن الخاص واغلق الباب من الداخل :

- ما نحن قد وصلنا بسلام .. وهذا المسكن يسمى مسكن « الاستكفاء الذاتى » ، فهو مزود بكل ما تحتاجه من طعام وشراب

وخدمة خلال اسابيع أو شهور .. أن به جميع الآلات الكهربائية
التي تنظفه بطريقة آلية ، هذا فضلا عن كل ما يخطر ببالك من
الوان الطعام والشراب والتسليّة
فقال مارلنج :

– ماذا حدث ؟ لماذا تركنا القصر وجئنا الى هنا ؟
– اننى لا أدري تماما ماذا سوف يحدث .. ولكننى أرى أن
نبقى هنا أسبوعين أو ثلاثة حتى استقر على أمر معين . ان غرفتك
في الجانب الخلفى .. المظلة على الحديقة الكبيرة العامة ..
ورأى مارلنج أن المسكن يكاد يكون أخضر من القصر الذى كان
فيه .. ولشد ما كانت بهجته حين وجد مئات الكتب الجديدة
موزعة في جميع غرفاته ، وفيما هو يعرب عن بهجته ، ربت هارلو
على كتفه وقال :

– لقد أعددت هذا المسكن منذ ثلاثة اعوام .. وكلما خطر لى
اننى نسيت شيئا ، أسرعت وأضفته . كل هذا من أجلك يا صديقى
فأنت المخلوق الوحيد في هذه الدنيا الذى أحمل له المودة والحب
فنظر مارلنج اليه في دهشة ، ولكنه لم يقل شيئا ..
وكان هارلو صادقا في حديثه ، فقد عاش هذه السنوات وهو
يشعر بالمودة تنمو في قلبه نحو صاحبه .. وكان لا يألو جهدا في
المحافظة عليه ، وعلى حياته ، وكان على استعداد – كلمسا مرض
مارلنج – أن يضحي بأى شئ في سبيل انقاذه من المرض
ذلك أن مارلنج كان المحور الذى تدور عليه حياته ..



ورغم كل الجهود التى بذلتها قوات البوليس للعثور على مكان
المستر هارلو ، فقد ظلت الصحف تصدر يوما بعد يوم معلنة نبأ
فشل البوليس في الاهتداء الى مكان « المليونير العجيب » . ولكن
احدى الصحف نشرت الخبر التالى بايعاز من ادارة اسكتلانديارد :
« ان السلطات البوليسية شديدة الاهتمام والرغبة في الاتصال
بالرجل الذى غادر قصر بارك لين في نفس الوقت مع هارلو . وهو
طويل القامة ، شاحب الوجه ، له لحية طويلة ذهبية .. »
وقرأ هارلو هذا الخبر ، وابتسم .. وتناول سيجارا وراح

يدخله وهو يفكر فيما جرى من أحداث سابقة ، ثم شعر - مع التفكير - بالاطمئنان لانه حتى هذه اللحظة ، لم يرتكب احدى الجرائم الكبرى التى يمكن أن تضع جبل المشنقة حول عنقه . أن وفاة الخادم المسز جيبنز كانت طبيعية جدا . . فقد انزلت قدمها على أرضية قاعة مكتبته فلما انحنى عليها ليساعدها على الوقوف ، وجدها ميتة بعد أن اصطدم رأسها بحبافة مقعد . تلك هى الحقيقة ، ولا حقيقة غيرها . أما المس ميرسى هارلو ، فقد ماتت أيضا ميتة طبيعية ، ولم يكن فى الزجاجة ذات السائل الاخضر التى رآها مارلنج شيئا غير مادة منبهة كان الطبيب قد وصفها لها ضد التوبات القلبية المفاجئة

وشرب قهوته ، ونهض ليمضى الى غرفة مارلنج . . فلما وصل اليها ، نقر على بابها ، ولكنه لم يسمع احدا ياذن له بالدخول ، فادار مقبض الباب ودخل ليجد الغرفة خالية تماما . . وبالبحث فى بقية غرف المسكن ودورة مياهه ، لم يجد اثرا لمارلنج . . ووجد باب المسكن الخارجى مفتوحا

ووقف برهة على رأس السلم ويداه فى جيبى بنطلونه ، والسيجار فى فمه . . ثم اذا به يقول لنفسه فجأة : « أرجو أن يكون المسكين حريصا فى عبور الشوارع ، فانه لم يتعود على السير فى عصر السيارات . . »

ثم عاد الى مسكنه متمهلا ، وأغلق الباب . . ومضى الى غرفة المكتبة ، واختار مقعدا مريحا ، وتناول قصة بوليسية . . ولم يلبث أن استغرق فى قراءتها



كانت ايلين ويفرز جالسة الى مكتبته كالعتاد ، بعد يومين من مغافرتها ، عنلما أقبل عليها المستر ستينجز المعجوز ، وقال لها وهو يجلس بجانبها :

— ان جيمس كارلتون ينحدر من أسرة طيبة . . وقد كنت صديقا لوالده !

وتجاهل الرجل اضطراب وجه الفتاة خجلا ، واستطرد يقول :
— كان شديد القلق عليك ، وهذا امر طبيعى . . وكنت انا قد أويت الى فراشى حين اتصل بى تليفونيا وسألنى عنك . واعترف

انى لم اسمع صوتا ينم عن القلق الشديد كما سمعت صوته .
ولا شك ان هناك سببا قويا يبرر هذا القلق عليك .. حسنا ..
حسنا ، انه شاب لطيف .. واعتقد انه من النوع الذى يسعد
النساء بالزواج ، اذا كان فى مقدور احد من الرجال ان يسعد
زوجة ما ..

فازداد اضطراب وجه ايلين خجلا .. ولم تدر ماذا تقول ، ومن
ثم تظاهرت بالغباء ، وقالت :

- اننى فى الحقيقة لا ادرى ماذا تعنى يا مستر ستينجز !

وهنا قال وهو يهز كتفيه :

- حسنا ، حسنا .. هل تسمحين بكتابة هذه الرسالة .. ؟!

وفيما هى تفكر فى حديث رئيسها ودلالته ، اذا بنقرات خفيفة
على الباب .. فأذنت للطارق بالدخول . ولم تلبث ان رأت القبض
يتحرك ، ثم يدخل رجل طويل القامة ، بلا قبعة ، وبلا عناقة ..
وانما يرتدى معطفا فوق منامته ، وحذاء بلا جورب ، وتتسدى من
ذقنه لحية مهوشة ذهبية اللون ..

وقال لها بصوت متردد :

- معذرة يا سيدتى .. هل هذا مكتب ستينجز وشركاه ؟

فتلهض ايلين فى اندهاش بالغ ، وقالت :

- نعم .. هل تريد مقابلة المستر ستينجز ؟

فاوفا برأسه .. وتلفت حوله فى اضطراب ، ثم اغلق الباب
الذى دخل منه وقال :

- نعم ، اذا سمحت ..

فسألته قائلة :

- وما اسمك ؟

فتنفس فى عمق ، ثم قال :

- قولى له أن المستر ستراتفورد هارلو يريد مقابلته ..

فتمتمت فى دهشة :

- هل المستر ستراتفورد هارلو هنا ؟

فاوفا برأسه وقال : نعم .. أنه أنا

الرعاية الأخيرة

كان السيد الذى اتخذ لنفسه اسم ستراتفورد هارلو مدة ثلاثة وعشرين عاما ، يشرب قدحا من الشاي بهدوء عندما يصل جرس الباب الخارجى ..

ووضع القدرح بهدوء أيضا بعد أن شرب البقية التى كانت به ، وقضم قطعة رقائق ، ومسح فمه .. وعاد الجرس يصلصل بقوة ، فنهض هارلو باسم ، ومضى الى الباب ففتحه ليجد ثلاثة من رجال المباحث يتقدمهم المفتش جيمس كارلتون الذى قال له :
— جئت للقبض عليك يا هارلو ..

— اننى تحت امرك . فقد كنت انتظرك . هل ستضع القيد الحديدى فى يدي ؟ اعتقد أنه لا داعى لهذا ، فانا لا أحمل سلاحا ، وأرى من الحماقة مقاومة رجال الشرطة الساهرين على الامن العام وفتح المفتش الك باب السيارة له .. وتهالك هارلو جالسا بين المفتشين ، ثم قال وهو يتناول علبة سيجاره الفاخر :
— هل تسمحون لى بالتدخين ؟

وقال هارلو بعد أن أشعل الك له السيجار :
— لقد قرأت يا كارلتون فى الصحف أن الحراسة مشددة فى جميع المطارات والموانئ لمنعى من الهروب خارج البلاد ... واعتقد — بعد أن قبضتم على — أن من المستحسن أن تخففوا هذه الحراسة حتى لا تدعوا أولئك الحراس المساكين يسهرون الليالى الباردة بلا أى مبرر .. أن ما يعانیه هؤلاء السادة سيظهر النوم من عيني رجل شفيق القلب مثلى .
فابتسم كارلتون ، وقال :

- حسنا .. حسنا .. سوف نفهم من هذه الحراسة المشددة حتى تستطيع أن تستغرق في النوم !

- لقد عثرت على مارلنج طبعاً ! .. أرجو ألا يكون قد أصيب بسوء .. فلا شك أن من العسير على رجل مثله ، اعتزل الحياة منذ ربع قرن ، أن يمضى فى طريقه اليكم بين حركة المرور الصاخبة - اطمئن .. انه بخير ..

- اننى أدعوه مارلنج الان حتى يثبت بالدليل القاطع أنه فى الحقيقة ستراتفورد هارلو ، واننى فى الواقع مارلنج . وليس هناك أقطع من اعترافى ، وأنا اعترف بهذه الحقيقة أمامكم الان .. اننى مارلنج ، وهو ستراتفورد هارلو .. واستطرد الرجل فى حديثه قائلاً :

- كان ينبغى أن أعادر البلاد منذ سنوات حيث أعيش فى سلام وترف . ولكن روح المغامرة التى تسيطر على كل انسان ، هى التى دفعتنى الى البقاء ، الى اللعب بالنار والاسراف فى تحديكم .. حسنا ..

وتوقفت السيارة أمام مركز البوليس .. وسرعان ما أدخل هارلو المزيّف الى غرفة الحجز الحديدية ، وتلفت الرجل فى جوانب الغرفة أو الزنزانة ، ثم قال لكارتون على حدة :

- لا شك أن جميع الصحف ستتخذ من حجزى فى هذا المركز البوليسى مادة للتهكم والسخرية والصور الهزلية .. سيضحكون ما شاء لهم الضحك ، وهم يذكرون أننى مسجون احتياطياً فى نفس بناية مركز البوليس النموذجية التى أهديتها للحكومة . اننى مستعد أن أدفع مليون جنيه للصحيفة التى لا تذكر هذه الحادثة ! وبعد ذلك راح ينصت الى صحيفة الاتهام التى أخذ لك فى قراءتها عليه ، فلما فرغ منها ، قال :

- هل تهموننى أيضاً بقتل المدعوة المسز جيبنز ؟ ما أعجب هذا ؟ .. حسنا ، حسنا ، ان هذه المسائل كلها سيتولاها المحامون ..

وبعد أن أغلق السجان عليه باب الزنزانة من الخارج ، وأحكم الاغلاق برتاج من قضيب حديدى غليظ ، تنهد كارتون فى ارتياح وقال :

- أخيرا استرحنا من الاعيبه ..

وسأله الك قائلا :

- وأين هارلو الحقيقي ؟

- فى قصر بارك لين .. وقد وعد أن يدلى الينا بالقصة كلها .
وسوف نذهب اليه مع كاتب على الآلة الكاتبة من الادارة لتسجيل
هذه القصة ..

- متى ؟ ..

- فى الساعة التاسعة مساء ..



وفى الساعة التاسعة وعشر دقائق ، كان الرجل ذو اللحية الذهبية
جالسا فى قاعة المكتبة الفاخرة بقصر بارك لين يدلى بقصته الى
كارلتون وزملائه ، فيقول :

- ان اسمى ستراتفورد سيلوين مورتيمر هارلو . وقد أمضيت
طفولتى ، كما تعلمون مع عمتى المس ميسى هارلو ، وكانت سيده
واسعة الثراء ، شاذة السلوك ، تولت امرى ، وتنازعت مع أختيها
بسببى

وأنا لا أتذكر بوضوح تام أيام طفولتى الباكرا .. ولكننى اعتقد
ويؤكد مارلنج هذا الاعتقاد - أننى كنت طفلا ضعيف العقل ، أقرب
ما أكون الى البلاهة ، وان هذه الحالة كانت تسبب قلقا شديدا لعمتى
المس ميسى التى كانت تعيش فى فزع رهيب من أن اغدو أبله تماما
لا أحسن التصرف فى ملايين الاسرة .. ومن ثم أوضع تحت الحجر .
وكانت ترى نفسها مسئولة عنى امام أختيها وأخيها المغترب فى أمريكا
ولهذا كانت عمتى تخفينى عن جميع الذين يأتون لزيارتها حتى
لا يلحظوا ضعف عقلى . وقد عشت طفولتى وصباى لا أكاد أرى أحدا
غير عمتى ومربيته المسز ادوينز وابنها لوميل الذى حدث فى أكثر
من مناسبة أن قدمته عمتى الى الزوار والاقارب على أنه أنا .. وكان
فى الواقع ، غلاما ذكيا قوى البنية ، يمكن أن تفخر به أبة أم !

وكان الاسم الآخر للوميل ، هو مارلنج ، وهو اسم عائلته .. وكان
الابن الوحيد للمسز ادوينز التى لم يكن لها أحد من الاقارب أو المعارف
وانما كرسيت حياتها لخدمة عمتى ميسى . وكان مارلنج هو رفيق

صبأى ، والشخص الوحيد الذى أمضيت طفولتى ألعب معه ، وأسعد به . وكان هو يحبنى حقاً وبأخلاص ويشفق على من ضعف عقلىتى ، وكانت المسز أءوونز فخوراً به . فبذلت كل جهدها لتعلمه والحاقه بالمدارس الثانوية ولما تأهب للمرحلة الجامعية ، طلبت المسز أءوونز من المس مرسى ، كما قال لى مارلنج بنفسه ، أن تساعدنا بالمال اللازم للاتفاق على إنبنا فى الجامعة . .

وأقول هنا بصراحة أن معظم المعلومات التى وصلتنى فى مرحلة الطفولة والصبأى ، جاءت الى عن طريق مارلنج نفسه . . وأنه لىبدو عجباً أن أءعوه الآن بالاسم الذى ظلمت أءمله أنا ربع قرن تقريباً ! وكان خوف عمتى من أن تنكشف حالتى العقلية لأقاربى والطامعين فى ثرائنا ، يدفعنا دائماً الى الانتقال من مكان الى آخر . وبعد ثلاثة أعوام من التحاق مارلنج بالجامعة ، وكنت لم أراه خلال هذه المدة ، أخبرتنى عمتى أنها ستتهىء لى مدرسا خاصاً . وقد حزنت لهذا ، ولكننى ابتهجت أشء الابتهاج حين علمت أن المدرس الخاص هو صديق صبأى مارلنج وجاء ألىنا حيث كنا فى بلدة بورتموث . . وكدت أن أنكره ، لأنه كان قد أصبح ذا لحية طويلة ذهبية اللون . وتحديثنا معا طويلاً وسرد على الشئ الكثير من مفاخراته الجامعية ، ومن المآزق التى نفذ منها بجلده

وكنت الوحيد الذى يثق بى ، ويفضى الى بأخص أسرارہ . . ولهذا فانا أعرف القصة الكاملة للمسز جىونز ، كما كانت تسمى نفسها . لقد التقى بها أول مرة عندما كانت فتاة جميلة ، تقوم بالخدمة فى منزل استأذه الجامعى . وتمادى فى علاقاته بها حتى جاءت أمها الى اكسفورد ذات يوم وهددته برفع أمره الى استأذه اذا لم يتزوجها ويصلح خطأ معها . وكان هذا التهديد ، اذا نفذ ، يعنى تحطيم مستقبله تماماً ، وحرمانه من رعاية عمتى مرسى التى كانت تنفق عليه ، ومن ثم تزوج الفتاة سرا فى كنيسة شلتنهام ، وعاش معها فى مسكن صغير خارج مدينة اكسفورد . . .

وعاش الاثنان حياة بائسة ، لأنه كان يحقد عليها لاضطراره الى الزواج بها . . وكانت تحقد عليه لأنها كانت تلمس الفارق الكبير بينها وبينه ، وانتهى الأمر بهما الى الانفصال . وبعد ثلاثة أعوام ،

علم من أمها انها ماتت ، والواقع أن هذه لم تكن الحقيقة ، وانما الحقيقة هي أن الفتاة ارتكبت جريمة تعدد الأزواج ، وتزوجت بأحد عمال سكة حديد ميدهام - وكان يدعى سميث - وقد مات في الحرب وقد أخبرتنى يا مستر كارلتون أنك وجدت وثيقة زواجها مخبوءة في بطانة حقيبة يدها

وفي خلال هذه الفترة ، كان مارلنج هو الذى يتولى شئون ثروتنا الطائلة . . . وكان فى الواقع كريما جدا ، ولكن الجنيه الذى كان يرسله كل اسبوع الى أم الفتاة التى تزوجها يوما ، كان بمثابة زكاة على نجاته من هذا القيد . وكان المبلغ يصل الام اسبوعيا بانتظام دون أن تعرف حقيقة أمر المرسل الا على سبيل الظن . ولما مات الام انتحلت الابنة اسم أمها . . . وراحت تتسلم كل اسبوع الخطاب الذى يحتوى على الجنيه

وأصبح مارلنج مدرسى الخاص ، واعترف أننى تقدمت كثيرا فى التفكير والذكاء بسبب رعايته لى وعنايته الفائقة بى . . . ولكنى لم أكن قد بلغت المرحلة الطبيعية عندما أصيبت عمى ميرسى بنسوبة قلبية مفاجئة قضت عليها ، وفى لحظة من لحظات اليأس ، أتذكر أنى اتهمت مارلنج بقتلها . . . لأنى رأيته يسكب محتويات زجاجة خضراء فى قديم ماء ويقدمه لها أثناء النبوة . وأنا الان واثق بأنى أسأت الظن به ، وان كان هو لم يكف عن تذكيرى بهذا الخطأ كجزء من العلاج حتى يقين فى الحقيقة أننى أسأت الظن به ، فيعرف عندئذ أننى استرحت قواى العقلية كاملة . . .

وكنيت على وفاة عمى أعانى من مرض شديد ، وانهيار عصبي تام . . . بحيث اضطر مارلنج الى حجزى فى غرفة بعيدا عن الانظار . واعتقد أن المسز ادوينز هى التى اقترحت عملية استبدال الأسماء والاشخاص حتى تظل الثروة الطائلة بين يدى ابنها . . . لانه لو كان قد ثبت لعمى اليس سوء حالتى الصحية والعقلية ، لطالبت بالحجر على . . . ولو حدث هذا ، لكان من المؤكد أن تضيق الثروة بعد وفاتها بسبب الطامعين فيها . وفى لحظة ضعف ، وافق مارلنج على اقتراح أمه ، ولكن لعلكم ستندهشون حين نعلمون أنه ندم على هذا بعد سنوات قليلة ، ولم يغفر لأمه أبدا أنها هى التى أوحى إليه بهذه

الفكرة الشيطانية .. وهى التى ضيعت - كما قال لها كثيرا - حياتها التى كان يرجو أن يقضيها فى هدوء وسلام كبقية الناس

ولتنفيذ هذه المهمة ، نقلوني بعيدا الى مسكن منعزل فى بيركشير .. ولم أدر بعملية الاستبدال الا فيما بعد ، أى حين جاءوا بى الى قصر بارك لين . فعندئذ فقط قيل لى أن اسمى مارلنج ، وأن اسمه هارلو . وقد ظل الاثنان يكرران على هذا حتى تعودت على الوضع الجديد

وأعتقد أننى لم أهتم كثيرا بالامر ، لانى كنت يومذاك لا أهتم بشئ فى الدنيا الا بالقراءة .. كانت الساعات التى أمضيها بين الكتب هى أسعد ساعات حياتى ، وأشهد أن مارلنج لم يدخر وسعا فى توفير كل اسباب الراحة لى ، فيما عدا اطلاق سبيلى خوفا من أن تنكشف الحقيقة قبل أن يستعد لها

وهو يبرر تصرفه معى بقوله أنه إذا كان قد سجننى هذه الفترة الطويلة ، فقد شفانى أيضا من البلاءة والضعف العقلى .. وذلك باتاحته لى هذه الحياة الهادئة ، البعيدة عن مشاكل الحياة ، والاصطدام بالناس ، وب توفير كل اسباب العلاج الحديث لى ، والواقع أنه عرف كيف يجعلنى أشعر فى أعماق نفسى أننى أعيش معه أحسن عيشة يمكن أن يتصورها انسان !

وبدأت سحب الضباب تنقشع تدريجيا عن ذهنى ، وبدأت أفهم ما أقرأ ، وأعرف الفرق بين الخطأ والصواب ، وأصل النتائج السليمة عن طريق المقدمات المنطقية . ومع هذا كله ، بقيت بطبيعة الحال أشعر بالاساءة البالغة التى ارتكبها فى حقى ، ولم أحاول هو أن يخفى هذه الحقيقة عنى .. وانما كان يقول لى ، انه اضطر الى اتخاذ هذا الاجراء للمحافظة على ثروتى الطائلة

وفى ذات ليلة ، جاء الى القصر وهو فى حالة اضطراب شديد .. وقال لى أنه سمع صوت زوجته التى تزوجها وهو طالب ، أى الخادم ابنة لويزا جينز . وقال أنه كان فى مسكن رجل يدعى انجل لسبب ما عندما سمع صوتها ، وهى تدخل المسكن مع زميلة لها كى تقوم بالتنظيف . ولما سمع صوتها ، تهالك على أقرب مقعد اليه وكاد أن يفقد صوابه ، وذلك خوفا من أن تتعرف عليه ، فيفتضح أمره

وكان فى ذلك الحين مشغولا بتدبير تلك الضربة العجيبة التى وجهها الى الاسواق المالية فى العالم كله ، وقد رأى أن يستغل الممثل القديم آرثر انجل ليتقمص شخصية وزير الخارجية فى الوقت المناسب . . . وذلك لما بينهما من تشابه فى الطول والسمت العام ، ولقدرة الممثل على تقليد أصوات الغير . وكانت المؤامرة تدور حول استدراج الوزير الى حضور حفلة فى قصر بارك لين ، ثم الهبوط به الى الجراج السرى حيث يظل محجوزا فيه . . ثم ذهاب آرثر أنجل الى مجلس العموم متقمصا شخصية الوزير . وكان آرثر قد أمضى أكثر من اسبوع يدرس حركات الوزير وسكناته عن طريق مجموعة من الافلام الاخبارية التى ظهر فيها الوزير فى مختلف المناسبات . وقد اضطر آرثر للذهاب الى مؤتمر عام ، كان الوزير سيخطب فيه لكي يدرس نبرات صوته ثم يقلدها فيما بعد

وقد أخبرني مارلنج بنفسه أنه دخل مع الوزير الى الغرفة الجانبية فى الردهة ، وشرب معه كأسا - وكان المخدر فى كأس الوزير - ثم هبط به ، . . أن فقد وعيه ، الى الجراج السرى عن طريق باب خفى وراء خزانة ثياب فى ذلك الجراج . وفى الوقت نفسه ، كان آرثر قد ارتدى ملابس الوزير ، ووضع نظارته على عينيه ، ثم خرج مع هارلو - أعنى مع مارلنج - من الغرفة الجانبية ، ومنها الى سيارته التى انطلقت من مجلس العموم مباشرة ، حيث القى بذلك البيان الرسمى الذى قاعد الاسواق المالية فى العالم !

ولكن ما حدث هذا ، كانت ثمة مأساة قد وقعت فى قصر بارك لين . . . لما أراد مارلنج الاتصال سرا بآرثر انجل ، خشى هذا من احتمال الايقاع به فى شرك منصوب . فكتب رسالة يعتذر فيها عن المقابلة الا بشرط معين ، ثم أغلق مطروف الرسالة . . وكتب عليه يسلم باليد ، كما يبدو من تسلسل الاحداث ، ثم تركه على المكتب . ولكنه غير رايه وذهب لمقابلة مارلنج فى الموعد المحدد ، ناسيا أمر الرسالة . فلما رأتها الخادم المسز جينز ، ظنت أنه تركها لكي توصلها بنفسها ، فحملتها وجاء بها الى العنوان المدون عليها ، وشاء القدر أن يفتح لها مارلنج الباب بنفسه لكي يتلقى صدمة العمر . . اذ وجد نفسه لأول مرة وجها لوجه مع المرأة التى تزوجها فى صباه . لقد

عرفها لأول وهلة رغم تلك السنوات والاحداث التي مرت بهما ، ولست أدري هل عرفته هي أو لا ، ولكننى أعلم عن يقين أنه دعاها للدخول الى المكتبة .. وفيما كانت تسير على الارضية المصقولة ، انزلت قدمها ، فسقطت واصطدم رأسها بحافة معقد . ولما انحنى مارلنج عليها ليساعدها على النهوض ، وجدها قد فارقت الحياة

وأشهد أنهما - هو والمسز أدوينز - بذلا كل جهد ممكن لاسعافها .. بل لقد جاءا بى للمعاونة فى عملية التنفس الصناعى لها .. ولكنها كانت قد ماتت تماما ..

وواجهتنا مشكلة التخلص من الجثة . والواقع أن مارلنج لم يكف عن لوم نفسه لانه لم يستدع رجال الشرطة فى الحال ، ومصارحتهم بما حدث .. ولكنه كان - كما يبدو - خائفا أن تذكر الصحف اسمه مقرونا باسم رجل كان حديث العهد بالخروج من السجن ، وفى النهاية حمل الاثنان الجثة ليلا الى قنارة ريجنت وألقيا بها فيها ؟ وقد قلت يا مستر كارلتون أن آثار الاقدام تدل على معركة قامت بين رجل وامرأة ، والواقع أنها كانت أقدام رجل ، وأقدام امرأة هي المسز أدوينز التي كانت تثن تحت ثقل الجثة ..

ولم ير مارلنج الخطاب الذى حملته المرأة اليه ، والذى بدأ بوضوح أنه سقط من جيب ثوبها وهما يقتربان بالبحث من القنارة . وقد أخبرنى مارلنج بكل هذا ، وأنا أعلم أنه صادق ،

وهنا توقف هارلو عن سرد قصته التى استغرق فيها ساعتين ريثما يستريح . وبعد نصف ساعة ، عاد يستأنف سرد . وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل :

« وكان مارلنج ينظر الى تصرفاته هذه كلها على أنها نوع من الدعابة التى تضافى على الحياة الوانا من الاثارة الممتعة .. هكذا كان رايه . وقد تهادى فى هذا اللون من الدعابات ، عندما ابتكر الطريقة التى أعاد بها السير جوزيف ليتون الى أصحابه . وهذه الطريقة كانت كما يلى .. الحصول على طاقمين كاملين من ملابس مهرج ليلي ، كل طاقم هو صورة طبق الاصل من الآخر ، وكان على آرثر أنجبل أن يرتدى طاقما منهما ويصبغ وجهه بالسواد ويقوم بدور المهرج السكران عى أقرب منطقة من مركز البوليس فى شارع ايفور حتى اذا قبضوا عليه

أودعوه في غرفة السجن الاحتياطي بذلك المركز الذى كان
مارلنج « قارب النجاة »

فقاطعه جيمس كارلتون قائلاً بسرعة :

— قارب النجاة ؟ ٠٠ لماذا ؟ ٠٠

فاستطرد هارلو يقول :

— سأخبرك فيما بعد ٠٠ فأنتم تذكرون أن مارلنج — وهو
شخصية المليونير — أهدى ذات يوم بناية مركز بوليس
للحكومة ، بعد أن بناها على مسافة لا تبعد عن قصره بأكثر
مترا ٠ وكان الهدف من هذه الهدية هو أنه إذا قبض عليه
فسوف يؤخذ للتحقيق معه الى هذا المركز أولاً ، أى قبل أن
الى أى مكان آخر ٠٠ حسناً ٠٠ وكان السير جوزيف غاثيا
يفعل المواد المخدرة ، وناثما فى الغرفة الموجودة بالجراج
تحين اللحظة المناسبة الى نقله ٠ ولما جاءت هذه اللحظة ،
ملابسه ، وصبغ وجهه ويداه بالسواد ، ووضعت عليه ملابس
ثم حمل عبر الباب الحديدى الصغير الذى رأيتموه فى تلة
السرية ، ومنه الى مرور طويل يؤدى الى سلم سرى تحت غرف
الاحتياطي بالمركز ٠ وبهذه الطريقة أمكن وضع السير جو
غرفة السجن الاحتياطي بدلا من آرثر انجل ٠٠ ذلك أن
فى هذه الغرفة مثبت كما تعلمون بالارضية ، ولكن فى
أيضا زرا سريا اذا ضغطت عليه بطريقة معينة ، أمكن تحريره
نيكشف باب خفى تحته درجات سلم سرى يؤدى الى
السرى فى القصر و ٠٠

ولم يظهر المفتش كارلتون بقية الحديث ، وانما انطلق
الى مركز البوليس القريب فى شارع ايفورى ٠ وهناك قال
المنوب بانفاس لاهثة :

— أريد رؤية هارلو ٠٠

فقال الضابط :

— إنه بخير ٠٠ لقد رأيته نائما فى سلام منذ ساعتين ٠٠

— أريد رؤيته بسرعة ٠٠

وهز الضابط كتفيه ، ومضى مع المفتش الى غرفة السجن

روايات الهللا

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي



هذه الرواية

سلسلة أحداث عجيبة ، تتخللها مجموعة من المفاجآت يديرها مؤلف الرواية «ادجار والاس» ببراعته المعروفة، فربط القارئ اليه فصلا بعد آخر ، حتى يفاجئه بغير ما كان يتوقع !

تسلط الاضواء على مليونير يزعم أنه «فوق القانون» لانه يستطيع بأمواله الطائلة أن يشتري الصحف والمجلات التي تجعل منه اسطورة يتردد ذكرها على كل لسان . ويتمادى الرجل في تصرفاته ويتلاعب بأقدار الناس ..

كما تسلط على ممثل قديم ، وفتاة حسناء تبادل الحب مفتشا يعمل بادارة اسكتلانديارد ، وامرأة عجوز ورجل غامض له لحية ذهبية اللون ، وامرأة وجدواجتها في احدى القنوات المعروفة بانجلترا ..

تري من قتل المرأة ؟ وما صلة هذه الجريمة بتصرفات المليونير ؟ وما هي الخيوط الاولى التي أدت الى معرفة الحقيقة ؟

سوف تجد الاجابة على هذه الاسئلة ، وأنت تتابع مفتش البوليس الشاب « جيمس كارتون » وأعدائه وهم يفامرون بحياتهم في سبيل الكشف عن غوامض هذه القصة العجيبة الرائعة

المليونير العجيب

المؤلف

* ادجار والاس من أبرز الكتاب القصصيين * تزعم كتابة الروايات البوليسية بعد كونان دويل وذاغت شهرته

* اشتهر بسرعه في وضع القصة ، فقد كان يتمها في وقت بعد رقما قياسيا في سرعة التأليف

* لم تكن سكرتيره تستطيع متابعتة في تدوين القصة ، ولذا استخدم ديكافونا هذه الغاية

